الإعجاز العلمي
تحت المجهر

قراءةٌ نقديّةٌ تطبيقيّةٌ في ظاهرة الإعجاز العلميّ في

القرآن الكريم

موقع دار الكتب

حمزة رستناوي

الإعجاز العلمي تحت المجهر
حمزة رستناوي
موقع دار الكتب

الإعجاز العلمي تحت المجهر

" قراءة نقدية تطبيقية في ظاهرة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم "

تأليف: حمزة رستناوي

الكتاب: الاعجاز العلمي تحت المجهر

المؤلف: حمزة رستناوي

الطبعة الأولى : 2014

رقم الايداع: 8423 -2014

الترقيم الدولي: 978- 977- 6445- 17- 8

اشراف عام: آية عفيفي

مراجعة لغوية : عبد الرحمن شيبة.

غلاف: Nile Design.com

القرآن يحرِّض على طلب العلم و ضرورة مُمارسة الخير، و التزوُّد بالمعرفة. و لكنه لم يحدّد – يوما ما - كيف يكون العلم في قوانينه، أو الخير في ممارسته أو المعرفة في ميادينها المختلفة، و لهذا كانت صيرورته في التاريخ.

" جودت سعيد "

الفصل الأول

"عن اعجاز القرآن الكريم"

❖قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ" الإسراء 88

"أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " هود 13

"وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " البقرة 23

❖يعرّف السيوطي في الإتقان المعجزة : اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة ، وهي إما حسية وإما عقلية "1" و من ثمّ يخص القرآن الكريم دون غيره بالمعجزة المستمرّة : إن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم ، فلم يشهدها إلا من حضرها ومعجزة

القرآن مستمرة إلى يوم القيامة "2".

❖لا يمكن النظر إلى " الإعجاز العلمي " كموضوع مستقل عن موضوع أوسع هو " إعجاز القرآن الكريم " هذا الموضوع التي أضحى من مُسَلَّمَات العقيدة الإسلامية وفي مراحل مبكرة في تاريخ الدعوة ، و باستثناء بعض المعتزلة ممن قال بالصرفة كإبراهيم بن يسار النظام المتوفى سنة 231 للهجرة "3" و هشام الفوطي و عبّاد بن سلمان لا نكاد نجد من فِرَق المسلمين قديما و حديثاً من يتوقّف عند "مُسَلَّمَة إعجاز القرآن الكريم " فإعجاز القرآن الكريم و فقاً لعموم المعتزلة و بقية فِرَق المسلمين هو إعجاز موضوعي ، أي أنه حُجَّةٌ على الناس ، و تحدي لهم أن يؤلفوا قرآناً على شاكلته.

❖يعقّب السيوطي في الإتقان على إعجاز الصرفة الذي قال به النظام : "ثم زعم النظام أن إعجازه بالصرفة : أي أن اللّه صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدوراً لهم، لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات.

وهذا قول فاسد بدليل الآية (قل لئن اجتمعت الإنس والجن) ، فإنها تدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ، ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى ، وليس

عجز الموتى مما يحتفل بذكره ، هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز إلى القرآن، فكيف يكون معجزاً وليس فيه صفة إعجاز ؟ بل المعجز هو اللّه تعالى حيث سلبهم القدرة على الإتيان بمثله "4".

❖كتب الجاحظ المتوفى عام 255 للهجرة كتابا بعنوان"نظم القرآن " تطرق فيه بالنقاش إلى إعجاز النظم القرآني ، و رغم أن الكتاب مفقود ،و لكن الباقلاني ذكره و علّق عليه ، و لكنّ موضوع "إعجاز القرآن الكريم " لم يتبلور كموضوع مستقل للتأليف إلا في القرن الرابع الهجري ، حيث نجد أول كتاب يشتمل عنوانه على كلمة الإعجاز : " إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه " لأبي عبد اللّه محمد بن يزيد الو اسطي ، المعتزلي ، المتوفى سنة 306 للهجرة "5 " و من ثمّ كتب عديدة منها : "إعجاز القرآن " لأبي الحسن الرماني المتوفى 384 للهجرة ، و كذلك ناقش أبو سليمان للخطابي المتوفى 388 للهجرة آراء السابقين له في الاعجاز و ناقض مقولة الاعجاز بالصرفة و توسّع في وجوه الاعجاز البلاغي و قال بنوع جديد من الاعجاز يتصل بالوجدان و تأثير القرآن في النفوس،و كتب أبو بكر ابن

الباقلاني المتوفى 402 للهجرة كتابه الشهير "إعجاز القرآن" . و في القرون التالية ازدهر التأليف في الاعجاز القرآني و ظهر العديد من الكتابات في هذا الموضوع لمؤلفين أبرزهم عبد القاهر الجرجاني و الزركشي و الغزالي و السيوطي..الخ و لسنا في صدد التفصيل في ذلك.

❖ذكر الرماني في كتابه سبعة وجوه لإعجاز القرآن " وهى : ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة ، و التحدي للكافة ،والصرفة ، والبلاغة ، و الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة ، ونقض العادة ، وقياسه بكل معجزة "6 ".

و نقل السيوطي في الإتقان :" اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن .. فذكروا في ذلك وجوهاً كثيرة كلها حكمة وصواب وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءاً واحداً من عشرة معشاره ، فقال قوم :هو الإيجاز مع البلاغة ، وقال آخرون : هو البيان والفصاحة ، وقال آخرون : هو الرصف والنظم ، وقال آخرون : هو كونه خارجاً عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر مع كون حروفه في كلامهم ومعانيه في خطابهم وألفاظه من جنس كلماتهم ، وهو بذاته قبيل غير قبيل كلامهم وجنس آخر عن أجناس خطابهم

حتى إن من اقتصر على معانيه وغير حروفه أذهب رونقه ، ومن اقتصر على حروفه وغير معانيه أبطل فائدته ، فكان في ذلك أبلغ دلالة على إعجازه ، وقال آخرون : هو كون قارئه لا يكل وسامعه لا يمل وإن تكررت عليه تلاوته ، وقال آخرون : هو ما فيه من الإخبار عن الأمور الماضية ، وقال آخرون : هو ما فيه من علم الغيب والحكم على الأمور بالقطع ، وقال آخرون : هو كونه جامعاً لعلوم يطول شرحها ويشق حصرها "7" .

❖سوف يأخذ الإعجاز البلاغي نصيب الأسد من وجوه الإعجاز عند الأقدمين ، حيث يقسّم الرماني البلاغة إلى ثلاث طبقات "إن ما كان في أعلاها معجز، وهو بلاغة القرآن"8" بينما سيستأثر الإعجاز العلمي بالنصيب الأكبر من وجوه الإعجاز عند المحدثين. و يقسم أحد المحدثين الإعجاز القرآني إلى بياني و علمي ، الأول حجّة على العرب ، و الثاني حجّة للناس على مدار العصور "9" و بشكل عام يعرض الاعجازيون لأوجه متعدّدة من الإعجاز القرآني منها : إعجاز لغوي "بياني ،بلاغي ،تصويري " - إعجاز تشريعي - إعجاز غيبي - إعجاز علمي - إعجاز عددي...الخ

الفصل الثاني

عن العلم و الدين ، و تصنيع الاعجاز العلمي

العلم حقل خاص يحكمه المنهج العلمي القائم على الاستقراء و التجريب و البرهنة و مجاله العالم المحسوس بذراته و أجرامه و كائناته الحية و غير الحية و البيئة الطبيعية و الاجتماعية ..الخ

أما العقيدة فهي حقل خاص آخر ، تتناول جوانب أخرى بعيده بشكل عام عن اهتمامات العلم ، فتهتم بالإجابة على تساؤلات تخص الموت و الحياة و المصير ، بناء على تصوّر إيماني غيبي ، غير برهاني / مستحيل البرهان.

و برهان العقائد و الأديان و "الرسالات" ليس في علميَّتها أو إمكانية اختبار تصوراتها تجريبياً ، بل برهانها في صلاحيتها لتحقيق تنمية فردية و مجتمعية مُستدَامة، توظّف العلم بشكل ايجابي ، و لكنها لا تزاحمه ، و هي تعمل عملها – إنْ أُحْسِنَ استخدامها - كضمير جمعيٍّ و حافز ايجابي في الحياة ، و بما يحرر الإنسان من الظلم و القصور.

بالتأكيد ليست حال كل العقائد كذلك ، فثمة طرائق تشكُّل للعقائد تبرِّر الظلم و تحثّ على الكراهية و القتل مثلا ، و لكنها عندئذ تبرهن على قصورها ، و قصور من يؤمن بها و يتمثَّلُها.

❖هل البرهنة على نظرية فيثاغورث في حساب زوايا المثلث القائم ، تقع على عاتق العلم أم الدين ؟! و حتى لو عرض أحدهم لإجابة مُستقاة من الدين و النصوص المُقدّسة، مع التسليم بخطأ هكذا إجابة لأنها سوف تكون من باب التعسف و التحاذق ، فهذه الإجابة لن تكون مقنعة و ملزمة لعموم البشر بدون قرائن نأخذها من حقل العلم نفسه .

و الحقيقة العلمية – مع التسليم بنسبتيها - مُلزمة لكل الناس ، و حتى لمن ينكرها بغض النظر عن عقيدته و لونه و لغته، بل و حتى في حال كونه متخلِّفاً عقليا ،فالأرض تدور حول الشمس بغض النظر عن رفضنا أو قبولنا ذلك على سبيل المثال.

❖هل ثمّة بعث بعد الموت ؟

ليس لدى العلم إجابة دقيقة حول هذا التساؤل في حدود المعرفة العلمية المتاحة،

فالعلم يقوم على التجربة و الملاحظة ، و الإجابة / الاجابات تكون حقل الدين تبعاً لتنوع تَحَوِّيَات العقد الفئوي الخاص بالفرد و الجماعة ، و بما لا يُلزم الآخرين ..الخ

و سأضرب مثالاً آخر عن إنسان مصاب بمرض خبيث في مرحلة متقدمة من المرض.

ما الذي يقدِّمُهُ له الدين ؟

و ما الذي يقدِّمُهُ له العلم؟

من ناحية العلم : تخفيف معاناة المريض بتسكين وتأجيل العواقب و إطالة متوسط البُقيا على قيد الحياة في حدود المعرفة العلمية المُتاحة الآن.

من ناحية الدين : التسليم بحتمية الموت ، و الرضا بالقدر الالهي ، و التماس الشفاء بالدعاء ، و أن يخفف الله عنه، و أن يميته الله على الإيمان ، و أن يحظى بالنعيم الأخروي "في حالة العقائد التي تؤمن بالبعث"..الخ

فلكل إجابة منهما مجال فعاليتها و مشروعيتها.

❖بعد هذه المقدمة لنتساءل هل ثمة مجال للتداخل بين العلم و الدين؟!

لا علم بدون المنهج العلمي ، فالمنهج العلمي هو الذي مكّننا نحن البشر من تحقيق كل هذه الكشوف و الاختراعات العلمية ، فالعلم ليس النتائج فقط ، بل هو طريقة الوصول لهذه الحقائق و منهج البحث العلميِّ، بما يمكننا من التحقق من هذه النتائج و تصويبها باستمرار.

أما" المنهج القرآني" فهو يعالج قضايا مختلفة عما يعالجه العلم ،قضايا تتعلق بالإيمان و التوحيد و الشعائر و عالم

الغيب و القيم الأخلاقية و الإنسانية ، و هذا حقل له خصوصيته بما يختلف عن حقل العلم ، لنأخذ مثلاً الإيمان بعوالم الغيب

فهنا الإيمان لا يعتمد على المنهج العلمي - الدقيق - ببساطة لأن موضوع الحديث هو الغيب ، و الغيب قابل للإيمان و التصديق و قابل لغير ذلك "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ " البقرة 3 و هذا خيار شخصي قد يكون له تبعات دنيوية و أخروية .

و لو كان "المنهج القرآني" هو نفسه المنهج العلمي لكان مباحاً لنا استخدام المنهج القرآني في إثبات و إنكار موضوعات علمية، و هذا ما لم يقّره حتى علماء المسلمين في التاريخ ، بل نجد أن ما حققه علماء مسلمون في الماضي و الحاضر كان نتيجة تطويرهم للمنهج العلمي و البحث بأدوات و قوانين العلم و ليس الدين.

فعندما يتعلق الأمر بالعلم علينا قراءة الكون و الطبيعة تبعا لقوانينها الخاصة .

و إذا تعلق الأمر بالإسلام من التعسّف تجاوز دلالات النصوص القرآنية و المصالح التي تعرضها.فلا يُطلب من

القرآن الكريم أن يكون كتاب علم - بالمعنى الخاص لكلمة علم – فذلكَ ليس أكثر من إساءة استخدام للقرآن الكريم ، و تواطؤ في عملية تسهيل طعن غير مبرر به.

❖هناك علم فيزياء ملزم برهانيا لكل البشر ،بغض النظر عن قبولهم له أو رفضهم له ، و بغض النظر عن معرفتهم أو جهلهم به ، و العالِم الجيد هو من يطور و يتفوق في هذا العلم ضمن شروط المنهج العلمي، و لا يوجد علم فيزياء عربي أو فيزياء فرنسي و فيزياء هندي، و لا يوجد فيزياء إسلامية و أخرى مسيحية و أخرى ماركسية ..الخ فبغض النظر عن الخلفية للمشتغلين بالبحث العلمي ، قوانين الميكانيكا واحدة ، و مُلزمة لهم، و هي التي تُمكِّن البشر من ركوب السيارة مثلا ، و نحن نبحث عن السيارة الأجود فليس ثمة سيارة مسلمة و أخرى يهودية.

أما في حقل العقائد الأمر مختلف، فلا يوجد عقيدة فقط ،بل هناك عقيدة إسلامية و عقيدة مسيحية و عقيدة ماركسية ...الخ و ضمن العقيدة الواحدة هناك تفريعات مختلفة كذلك

و كذلك اللغات على سبيل المثال فليس هناك لغة فقط ، بل هناك لغة عربية و انكليزية و الخ.

❖إذا سلمنا بناء على ما سبق بالفصل بين حقلين لكل منهما خصوصيته، و لكن هذا لا يمنع من وجود علاقة، حدودها التالية مع النص القرآني على سبيل المثال:

أولاً - حثّت الآيات القرآنية على التفكُّر و التدبر في الكون لتأمل عظمة الخالق و قدرته اللانهائية فكثيرا ما تنتهي الآيات القرآنية ب" إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون - إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون - أفلا يتفكرون - أفلا يعقلون"

ثانياً - حثّت الإنسان على العلم و طلب العلم و معرفة القوانين الناظمة للعلم و معرفة أسرار الوجود.

ثالثاً - الالتزام بالمعايير الأخلاقية و القيم الإسلامية الحيوية ، لاستخدام مُخرجات العلم و منع اساءت استخدام العلم .

❖ أخيرا لنقف مع قضية الإعجاز العلمي ، و تراني هنا مُنْزَاحا لتيار عريض نجد بداياته مع الشاطبي وصولاً إلى محمود شلتوت و عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ " ..و

يمكننا استعادة أجواء سجال خصب بين الدكتورة عائشة عبد الرحمن و بين د.مصطفى محمود في أوائل السبعينات على صفحات جريدة الأهرام حول الإعجاز العلمي..الخ
فالإيمان بدعوى الإعجاز العلمي في القرآن شيء ، و الإيمان بالقرآن الكريم ككتاب مقدّس من مصدر إلهي شيء مختلف ، و هما ليسا بمتلازمين .

❖إن هذه الدعاوى – دعاوى الاعجازيين - موجودة في شتى العقائد و الملل و ليست حكرا على المسلمين، فهناك عشرات الدوريات و المواقع الالكترونية المسيحية المتخصصة بالإعجاز العلمي في أسفار العهد القديم و الجديد مثلا.
و كذلك دعاوى الماركسيين و ادعائهم بأن الماركسية علم العلوم ، حيث درّست الماركسية على اعتبارها علم العلوم في أكاديميات الاتحاد السوفيتي السابق، فذهبت الماركسية على الأقل بصيغتها الستالينية أدراج الرياح و بقي العلم .

❖يقول الامام الشاطبي:
"علم التفسير مطلوب فيما يتوقف عليه فهم المُراد من الخطاب، فإن كان المراد معلوما فالزيادة على ذلك تكلف، و يتبين ذلك في مسألة عمر :

و ذلك أنه لم قرأ " و فاكهة و أبّا " توقف في معنى الأبّ و هو معنى إفرادي لا يقدح عدم العلم به في علم المعنى التركيبي في الآية ، إذ هو مفهوم من حيث أخبر اللّه تعالى في شأن طعام الإنسان أنه أنزل من السماء ماء فأخرج به أصنافا كثيرة مما هو من طعام الإنسان "1"

و مشهور خبر عمر بن الخطاب مع ضبيع في سؤاله عن أشياء من القرآن لا ينبني عليها حكم تكليفي و تأديب عمر له، فتفسير القرآن الكريم غرضه فهم المُراد من الخطاب فإذا تم ذلك ، كان ما عداه تكلّف لا طائل منه.

و سأضرب مثالين على ذلك من أشهر الأمثلة التي يسوقها الاعجازيون:

المثال الأول :

"مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ، وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"

فالمراد من الخطاب واضح لكل من يلمُّ بالعربية ، فمن يؤمن باللّه بيته قوي متين ، و من يشرك باللّه و يعبد الأصنام

بيته واهنٌ كبيت العنكبوت، و كون بيت العنكبوت واهن، هو ما يعرفه عموم الناس من واقع حياتهم ، فيستطيع طفل صغير بإصبعه أن يخرب بيت العنكبوت الواهن .

المثال الثاني:

{فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ} ....(الأنعام: 125)

فالمُراد من يرد الله هدايته يشرح صدره للإسلام فييسره له ، و بذلك يرتاح قلبه، و من يُرد الله له الضلال يعسِّر لهُ ، فهو كمن يريد أن يصعد إلى السماء، و هو لن يقدر على ذلك ، و في ذلك مشقة و ضيق.

فالصعود إلى السماء عمل شاق بداهة ،يقبض الصدر و مثاله من يتسلق الجبل مقتربا من السماء و هذا مِمَّا يعرفهُ و يسلِّم به عموم الناس ، و لا داعي للتذكير بأن دلالة السماء هنا هي ما يقره عموم الناس من ناطقي العربية اليوم.

❖ما يؤخذ على مقالات الاعجازيين ، افتقادها للتوثيق العلمي، و ذلك َمن ركائز البحث العلمي ، فبدونه ليس ثمة علم و لا بحث، خاصة أنه – في زعمهم - يتحدّون العلم نفسه.

و يستخدمون عبارات من قبيل" و ثبت بأن المراجع الطبية – و من المعروف أن – و ثبت بالتحليل لدقيق أن - تبين من خلال الدراسات أنه - و قال الدكتور فلان الفلاني – و قال البروفسور الانكليزي فلان الفلاني لمتخصص في - و في برنامج علمي في قناة ال: BBC– و في مؤتمر علمي في باريس..الخ"

فمن المُسلَّم به أنه في كل علم من العلوم، يوجد كتب مرجعيَّة هي بمثابة حجة في اختصاصها، و يوجد عادة مجلات علمية معروفة جيدا ضمن كل اختصاص علمي تنشر دراسات محكّمة ، و ماعدا ذلك فقليل المصداقية لا يُحتجّ به ، و سأضرب مثالا من واقع اختصاصي العلمي "طب الأعصاب"

فأي معلومة أستخدمها أو أي دواء أو إجراء طبي أقوم به ، أنا مطالب – علميا و مهنيا بل و قانونيا - أن تكون موثقه في

مصادر و مراجع هي حجّة في الاختصاص و أهمها على سبيل المثال من الكتب:

manual neurologic therapeutics- up to date- text book- Adams

و من المجلات العلمية ك:

American academy of neurology-nature neuroscience

أو حتى مواقع الكترونية رصينة ك

American Board of Psychiatry and Neurology

و الدراسات العلمية الجادة تشير إلى ثغراتها ،و تشير إلى نسبة احتمالية المعلومة التي تقدمها، و هل يُعتمد عليها أم لا في الممارسة العلمية ..الخ فعلى سبيل المثال لا حجّة علمية في أن يقول الطبيب فلان رغم كونه مختص في هذا العلم فهنا لا يمكن استبعاد القصور الذي يعتري أي فرد و التأثيرات الثقافية المختلفة عليه.

فدراسات الاعجازيين تعاني عيباً منهجيّاً في توثيق المعلومة . و تعاني كذلك عيبا منهجيا في خرقها لمنهج البحث العلمي في كونها:

- تعتمد على المصادفة الواردة الحدوث

- تأويل المعنى المجازي ليصبح حقيقي و العكس أيضا ، بما تقتضيه ضرورة الإعجاز مسبق الصنع؟!

- الخلط بين الخبرة الاعتيادية للإنسان و بين الحقيقة العلمية .

- إهدار البعد التاريخي فيما يخص تاريخية النصوص المقدسة و فيما يخص المعلومة العلمية المقدمة.

- اختيار عينات غير عشوائية "منتقاة" من الآيات القرآنية و الأحاديث للدلالة على الإعجاز

- دغدغة عواطف و مشاعر الإيمان لتسهيل قبول القارئ و المسمع لهم.

- تقرير نتيجة البحث قبل الشروع في البحث ، فالمطلوب هو إثبات وجود الإعجاز و ليس شيء آخر .

❖لكل علم ثمرة نلمسها في الحياة ،و كذلك فإن ثمرة العقيدة تُترجم في صلاح الإنسان و الجماعة و البشرية في الحياة و "عالم ما بعد الحياة " .

يقول الشاطبي في الموافقات: كل مسألة لا ينبغي عليها عمل فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل

شرعي و أعني بالعمل عمل القلب و عمل الجوارح من حيث هو مطلوب شرعا ، و الدليل على ذلك استقراء الشريعة:

فإنا رأينا الشارع يعرض عما لا يفيد عملا مكلفاً به

ففي القرآن الكريم: "يسألونك عن الأهلة، قل هي مواقيت للناس و الحج" فوقوع الجواب بما يتعلق به العمل، إعراضا عما قصده السائل من السؤال عن الهلال: لِمَ

يبدو في أول الشهر دقيقا كالخيط ثم يمتلأ حتى يصير بدرا ثم يعود إلى حالته الأولى؟ "2"

و يحق لنا أن نتساءل عن ثمرة دعاوى الإعجاز العلمي ليس منذ نصف قرن فقط مع ظهور الاعجازيين الجدد، بل منذ أكثر من 800عام مع فخر الدين الرازي المتوفى 606 هجري و أبو حامد الغزالي و ابن أبي الفضل المرسي و غيرهم الكثير"3"

فبعد مرور نصف قرن على اشتغال الاعجازيين الجدد :

ماذا قدّموا للعلم؟!

كم من الأدوية و العقاقير اخترعوا و أفادوا به البشرية؟!

كم من الاكتشافات الجيولوجية و الفلكية قدّموا لنا؟!

ما الجديد الذي قدّموه في علوم الفيزيلوجيا و الكيمياء و الفيزياء و الرياضيات و علوم الكومبيوتر..الخ

الاعجازيوون مُطالبون – أدبياً - أن يقدّموا و لو براءة اختراع واحدة لدواء موثق في هيئة الأدوية و الأغذية الأمريكية أو أي مؤسسة علمية معترف بها عالميا؟!

و لن تسعفهم نظرية المؤامرة ، فشركات الأدوية هي شركات تجارية تتبنّى بل و تموِّل أبحاث أي دواء يثبت فعاليته، و رأس المال ليس له دين!

بعد مرور نصف قرن على دعاواهم

ما الذي قدّموه للإسلام و المسلمين ؟

فالمسلم ليس بحاجة لإعجاز علمي ليكون مؤمنا و مسلماً صالحا، و هو سيصوم رمضان بغض النظر عن الإعجاز العلمي في صوم شهر رمضان ، و للأسف لم يلمس المسلمين بوجود هذا الجيش الجرار من الاعجازيين و الميديا المسترزِقة بهم - و جلهم من حملة الشهادات العلمية - تطور علمي و تكنولوجي يدخل مجتمعاتنا في ركاب العصر، و مجتمع العلم و المعرفة.

و أختم بالتساؤل التالي:

لماذا لا نُعجِزْ العَالَم بالعِلم

و ليس بالإعجاز العلمي؟!

فهل الإعجاز العلمي – في حال وجوده - حجة على المسلمين

أم حجة ضدّهم؟!

الفصل الثالث

قراءة نقدية في " موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن و السنة " لمحمد راتب النابلسي

يعرض النابلسي في مقدمات الكتاب "1" فهمه الخاص لمصطلحات: الإعجاز – العلم - القرآن و السنة

أوّلاً - عرض مقدمات الكتاب .

❖الإعجاز :

يعرض النابلسي لأفكاره حول التوحيد و السببية و المعجزة، معتمداً مقولات المذهب الأشعري في العقائد :

" من اعتقد أن الأسباب وحدها تخلق النتائج ثم اعتمد على الأسباب وحدها فقد أشرك "2"

" الأسباب وحدها لا تقود إلى النتائج إلا بمشيئة الله "3".

فالمعجزة – من وجهة نظر الكتاب - هي البرهان على صدق النبوة: و هنا تأتي المعجزة لتكون برهاناً على صدق إرسال النبي و مصداقية منهجه "4" فالدليل على صدق النبوة هو دليل خارجي " و المعجزة في بعض تعاريفها خرق لنواميس الكون و لقوانينه، و لا يستطيعها إلا خالق الكون ، لأنه هو الذي وضع القوانين و النواميس "5" و المعجزة ممكنة عقلاً غير مألوفة عادة ، فهناك فرق بين أن يحكم العقل على شيء باستحالته ، و أن يعلن عجزه عن فهم هذا الشيء "6" ثم يستدرك قائلا :" فالناس يخاطبون عادة بأصول الدين، و المؤمنون يخاطبون بفروع الدين، و الحديث عن المعجزات من فروع الدين، فإذا كان الأصل مهتزاً فلا جدوى من الحديث عن المعجزات "7"

و يميز الكتاب بين معجزات حسّية محدودة بالزمان و المكان و هي معجزات الرسل السابقين " إذن معجزاتهم كتألق عود الثقاب ، وقعت مرة واحدة ، و أصبحت خبراً

يصدقه من يصدقه، و يكذبه من يكذبه "8". و بين معجزة مستمرة " هي آيات الإعجاز العلمي في الكتاب و السنَّة " ، "أما نبينا محمد ص الذي هو خاتم الأنبياء و المرسلين ، و أرسل إلى الناس كافة بشيراً و نذيراً ، فينبغي أن يكون من معجزاته ما هو مستمر، و لذلك كانت آيات الإعجاز العلمي في الكتاب و السنة معجزة علمية نصية "9" .

و بذلك يصل النابلسي إلى بيت القصيد " المعجزة العلمية النصية. و يشير إلى 1300 آية تتحدّث عن الكون و خلق الإنسان في القرآن الكريم "و هذه الآيات تقترب من سدس القرآن "10". و يرى الكتاب أن آيات الكون تقتضي " التفكر"و لحكمة إلهية بالغة لم يفسر النبي هذه الآيات " و لو فسرها تفسيراً يفهمه من سيأتي بعده لاستغلق هذا التفسير على من حوله و لذلك تركت هذه الآيات للعصور اللاحقة "11" .

❖**العلم** :

يعرف النابلسي العلم بما يلي : و العلم كما يرى بعض العلماء ، علم باللّه ، و علم بأمره، و علم بخلقه، أو علم بالحقيقة و علم بالشريعة و علم بالخليقة "12".

و يدعم وجهة نظره حول العلم بالله بآيات قرآنية تحض على التفكر في خلق الله: قل انظروا ماذا في السموات و الأرض و ما تغني الآيات و النذر عن قوم لا يؤمنون "يونس 101

وأما عن العلم بأمره – أي علم الشريعة - فيرى أن: الشريعة عدل كلها ، و رحمة كلها ، و مصالح كلها ، و حكمة كلها" 13" و يدعم وجهة نظره بحديث للبخاري: "من يرد الله به خيراً يفقهه بالدين" أما الفرع الثالث من العلوم – وفقا للكتاب - فهو علم الخليقة أي العلم بخلقه: " و تعلم العلوم المادية ، و التفوق فيها قوة ، يجب أن تكون في أيدي المسلمين ليجابهوا أعدائهم ، أعداء الحق و الخير و السلام ، تحقيقاً لقوله تعالى " و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله و عدوكم " سورة الأنفال 60

❖القرآن و السنة :

يميز النابلسي بين أنواع الإعجاز في القرآن الكريم ، بين إعجاز بلاغي و تاريخي و مستقبلي و تشريعي و أخيراً - موضوع الكتاب – الإعجاز العلمي.

و يرى أن" الإعجاز هو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي ، و ثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول "14" و يرى " أن المعجزة القرآنية – بما تتضمنه من حقائق علمية – دليل على عالمية الرسالة الإسلامية ""15" و يميز كذلك بين التفسير العلمي و الإعجاز العلمي " فالتفسير العلمي هو كشف عن معاني الآية أو الحديث، في ضوء ما ترجحت صحته من حقائق العلوم الكونية ، أما الإعجاز العلمي فهو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي أخيراً ، و ثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية ، في زمن الرسول "16".

و ثم يبين النابلسي المنهج الذي اعتمد عليه في كتابة - الموسوعة - فيرى أنه: لا يمكن أن يقع صدام بين قطعي من الوحي و قطعي من العلم التجريبي ، فإذا وقع في الظاهر فلا بد أن هناك خطأ في اعتبار قطعية أحدهما ، و هذه قاعدة جليلة قررها علماء المسلمين ، و قد ألف غير واحد من العلماء كتباً تؤكد حتمية توافق العقل مع النقل "17" .

و يكرر الفكرة ذاتها بوضوح أكبر:

" إذا وقع تعارض بين دلالة قطعية للنص و نظرية علمية ، رفضت هذه النظرية ، لأن النص وحيٌ من الذي أحاط بكل شيء علماً ، و إذا وقع التوافق بينهما كان النص دليلاً على صحة تلك النظرية ، و إذا كان النص ظنياً و الحقيقة العلمية قطعية يؤول النص بها ، و حيث لا يوجد مجال للتوافق فيقدَّم القطعي "18" ثم يبين النابلسي أوجه الإعجاز العلمي فيرى من بينها : " تصحيح الكتاب و السنة لما شاع بين البشرية في أجيالها المختلفة من أفكار باطلة حول أسرار الخلق "19" .

أما عن الضوابط التي يلزم بها النابلسي نفسه في بحثه عن الإعجاز العلمي في الكتاب و السنة و سأوردها كلها لأهميتها في بيان وجهة نظره:

1 - أن تراعي معاني المفردات كما كانت في اللغة إبان نزول الوحي، و أن تراعي القواعد النحوية و دلالاتها ، و أن تراعي القواعد البلاغية و خصائصها ، و لا سيما قاعدة "ألا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية "

2 - البعد عن التأويل في النصوص المتعلقة بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم و دلالة نبوة النبي"ص"

3 - ألا تُجعل حقائق القرآن موضوع نظر ، بل تجعل الحقائق هي الأصل : فما وافقها قبل ، و ما عارضها رفض

4 - ألا يفسر القرآن إلا باليقين الثابت من العلم ، لا بالفروض و النظريات التي ما تزال موضع محص و تمحيص"20"

و يتابع النابلسي ضبطه لمصطلح التفسير العلمي للقرآن و السنة رافضا :

1 - إذا اعتمد على النظريات العلمية التي لم تثبت و لم تستقر...

2 - و مرفوض إذا خرج بالقرآن عن قواعد اللغة العربية و مدلولاتها زمن النبي ص

3 - و مرفوض إذا صدر عن خلفية تعتمد العلم أصلاً و تجعل القرآن تابعاً

4 - و مرفوض إذا خالف ما دل عليه القرآن في موضع آخر ، أو دل عليه صحيح السنة

5 - و مرفوض ممن هب ودب من الذين لم يتحققوا في أخذهم ، و لم يتثبتوا في إلقائهم، و هم يزعمون أنهم على علم ، و العلم منهم براء

6 - أن يكون التطابق عفوياً و تاماً ، لا مفتعلاً أو متكلفاً""21"

مع ملاحظة أنّ الترقيم السابق:لم يرد في الكتاب ، و أن كاتب السطور قد قام به لسهولة المراجعة

و من ثمّ يبلغ طموح – النابلسي - ذروته مؤكداً أنه " بإمكان المسلمين أن يتقدموا لتصحيح مسار العلم في العالم ، ووضعه في مكانه الصحيح "22"

❖ثانياً : نقد مقدمات الكتاب :

كيف ينظر النابلسي إلى العلم ، ما العلم ، و مهمة العلم ؟!

و ذلك قبل الخوض في أي نقاش حول الإعجاز التفسير العلمي ، فالعلم وفق ما يعرضه النابلسي ، ليس هو العلم كما تعارف استقر عليه المشتغلون فيه أنفسهم ، فهو ليس بالقوانين الموضوعية قائمة على الاستنتاج العقلي و القياس التجريبي مثلاً ؟! و لكن النابلسي يملك فهماً للعلم مختلفاً عن هذا ،يورد الكتاب مثلا : الأسباب وحدها لا تقود إلى النتائج إلا بمشيئة الله "23".

إن القول السابق يقع خارج حقل العلم ، و من الأفضل وَضْعَهُ

في مكان آخر ، و ليس في كتاب يدَّعي العلم ، لا بل يدَّعي أنه قاهر و معجز العلم ! إن

العبارة السابقة : " فالأسباب تقود إلى النتائج " نفسها يستخدمها النابلسي و غيره من رجال الدين في إثبات وجود الله على اعتبار الله (سبحانه و تعالى) - كمّسبب الأسباب - فكيف يجري الطعن بها ؟!

و كذلك لا يسع أي إنسان - عالماً كان أم جاهلاً - إلا أن يأخذ بها حتى من دون التصريح بذلك ، فلكي يتقي برد الشتاء عليه تركيب مدفئة ، و لكي تعمل المدفئة عليه شراء وقود ، ووضعه في الخزان و من ثم إيقاد النار حتى تتحقق نتيجة الدفء ، و الاعتراض الموجه من قبل المؤمنين لا توقد المدفئة إلا بمشيئة الله ، لن يفيدني من الناحية العملية مع احترام مشاعر المشاعر الإيمانية و تقديرها ، الأسباب تقود إلى النتائج طبعاً ليس في صيغة بسيطة دائماً ، و لكن ضمن صيرورة احتمالية نسبية تتدخَّل فيها عوامل متعددة ، فوفقا للمنهج العلمي الأسباب تقود إلى نتائج عند فهم القانون الذي نسلك فيه هذه الأسباب عبر طرق تشكّل و احتمالات مختلفة للوصول إلى نتائج ، و أما إضافة عبارة " **بمشيئة الله**"

فهذا يدخلنا في حقل الدين و العقائد ، مع كل التقدير للإيمان و خيارات الانسان العقائدية .

و لا دليل عليه – من داخل الحقل العلمي - كما لا دليل ضده بالمقابل، و لو اعتمد النابلسي هذا الفهم – البديهي - للعلم فلن يضير دراسته عن الإعجاز العلمي شيئاً لا بل جعلها أكثر رصانة مما هي عليه.

نتابع مع النابلسي : من اعتقد أن الأسباب وحدها تخلق النتائج ثم اعتمد على الأسباب وحدها فقد أشرك "24" .

التعقيب:

هذا القول ينتمي إلى حقل الدين و اللاهوت و ليس حقل العلم ، و هو قول مثير للجدل عامة، فالحكم بالشرك ليس بالأمر البسيط ،و ليس من الحكمة استسهاله، فقد يكون بوابة لنفي الآخرين و إقصائهم جسديا و معنوياً . و أظن أن عنوان الكتاب " موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن و السنة" أي من المفترض جعل القارئ يؤمن ، أو أن يصبح أكثر إيماناً بعد قراءة الكتاب ،و ليس البحث في العقائد و الشرك و

التكفير ،و في ذلك حيد عن الغرض المفترض الكتاب في الدعوة إلى الله عبر اثبات "الاعجاز العلمي "..

سأعرض الآن لعلاقة الاسباب بالنتائج - من منظور عقائدي يختلف عن النابلسي - نظرا لأهمية الفكرة و شيوعها:

الله خلق الكون و الطبيعة وفقاً لقوانين و سنن ،و اكتشف الإنسان لهذه القوانين و السنن مدخل هام لفهم الدين و تعميق الايمان ، فهل من الضروري أن يخرق الله قوانين الكون و و نواميس الطبيعة كي نؤمن به ؟! و لن أقف – في هذا السياق - عند معجزات الأنبياء فهي انقضت بانتهاء زمن الرسالات .

❖سأعيد صياغة قول النابلسي السابق بشكل ايجابي وفقا للمنظور التي عرضته أعلاه :أن الله الذي خلق الكون و نواميسه يحثنا على التَفَكّر في الكون ،و البحث عن سنن خلقه ، كي يكون إيماننا إيمان تفكر و تدبُّر لا إيمان معجزات و خوارق "

❖وفقا للنابلسي إن خرق القوانين و النواميس يقوم به الله ، حسناً و لكن إرادة الله لا تتجلى بشكل مباشر ، فالله تعالى ليس مجسداً بشخص أو شيء محدَّود ؟!

ثمّ أنَّ الخرق يتم على يد بشر ، و بالتالي يستطيع هذا الكائن البشري ادعاءه لنفسه ، أي أنَّهُ – هو - الذي خرق هذه القوانين، ما يتبع ذلك من استثمار متفاوت ، قد يكون سلبي إلى حد كبير؟

مثال افتراضي : "زيد تحوَّل إلى ذبابة " و هذا "خرق واضح لقوانين الكون ".

و لكن عندما يعود زيد إلى حالته البشريِّة الأولى يقول لمشاهديه:

أنا زيد إلهكم - و العياذ بالله - أستطيع أن أخرق قوانين الكون التي تعرفونها ، لأني أنا من صنع هذه القوانين ، أو أن لدي قنوات خاصّة مع الله صانع هذه القوانين ، إنَّ هذه القوانين صُنعتْ لأمثالكم...؟ أحدهم سيقولُ دجَّال كافر

نفس المثال زيد بعد أن عاد إلى حالته البشرية قد يقول لمشاهديه:

أنا زيد و هذه معجزتي

أنا زيد إنسان صالح وأحدُ أولياء اللّه ؟!

و هذا يفتح أمامنا باب عريض للمدَّعين و الدجَّالين و الادِّعاءات المضادة ؟

و إن كان أمثال هذا قليل في عصرنا ،إلا أنه كان منتشرا و بشده في عصور سابقة من مدعي الخرافات و المعجزات و النبوات ،و كلهم فاعلين اجتماعيين و دينيين و سياسيين بدرجات متفاوتة؟

و عودة إلى بدء ، أقول لا يمكن التحقُّق بشكل موضوعي محايد من هذا القول:

بأن اللّه وحده يستطيع خرق هذه النواميس؟!"

ليس المقصود من نقاشي رفض الإلوهية ، و لكن إقرار مفهوم للإلوهية يتفق مع البداهة و الفطرة البشرية ، مفهوم ايجابي ينمّي المصالح المشتركة بين البشر ، مفهوم :

1 - يتفهم الظاهرة الدينية و يدرس طرق تشكّلها كبعد إنساني وجودي و ليس كظاهرة علمية، فالعلم و الدين حقلان منفصلان لكل منهما هويَّة

2 - تجاوز علم العقائد الإسلامي من مستوى المفبركات و علم الكلام، إلى منظومة معرفية للعقائد و الإيمان قائمة

بذاتها غير متّكلة ، و ليست عالة لا على العلم و لا على غيره

فالعلم لا يؤدي لنفي الدين ، و الدين لا يؤدي لنفي العلم بالضرورة ، و العلم لا يؤدي للإيمان بدين أو تصور محدد دون غيره ، بل يترك لنا للإجابة أمام احتمالات متعددة لكل إنسان منا خياره ،الذي ترتاح نفسه إليه، قد يعرضه على الآخرين من دون الادِّعاء باستملاك أرض الحقيقة ، أو العثور على كنز الوجود الأوحد .

❖نعود إلى النابلسي و لننظر إلى قوله :**المعجزة ممكنة عقلاً غير مألوفة عادة "**

التعقيب :

هل ثمَّةَ كبير فرق بين أن يحكم العقل على شيء باستحالته ، أو أن يعلن عجزه عن فهم هذا الشيء ؟ و لنتساءل هل إحياء الموتى "معجزة عيسى عليه السلام " أو البقاء حيّاً لثلاثة أيام في بطن حوت "معجزة يونس عليه السلام " ممكنتين عقلاً و غير مألوفتين عادة ؟!

وفقاً للنابلسي هذا ممكن عقلاً ؟

من يتبنّى هذا الرأي مُطالب أن يثبت لنا هذه الإمكانية وفقا للعلم و قوانينه ، مع تحييد كامل للنصوص المقدسة كونها مقدَّسة عند جزء من البشر و ليس كل البشر ، و لكون السياق هنا علمي ، و ليس عقائدي إيماني ، و لن يستطيع إلى ذلك سبيلاً ؟!

لذلك يعمد إلى تعطيل العلم و المنطق البرهاني تحت مُسَمَّى المعجزة ، فهل إحياء الموتى من الأمور التي يقبلها الانسان وفق خبراته العلمية المتراكمة عبر عصور و إلى الآن – مع استثناء حالات الموت الظاهري "25" - أم أن هناك موتاً كثيرون عادوا إلى الحياة ،و حدَّثونا عن القبر و الجنة و النار ..الخ ؟!

إن إحياء الموتى معجزة وفق التعريف العام لرواية النابلسي ، و هو بالتأكيد شيء غير مألوف عادة ، و كونه ممكن عقلاً شيء لا يمكن الجزم به ، فلا يمكن فصل العقل عن الخبرات و التجارب في الواقع ، و بالتالي لا ينطبق عليها تعريف المعجزة الذي عرضه و ألزم به نفسه .

إن واقعة إحياء الموتى لم نرها و لم يجري توثيقها علميا فكيف نحكم بوجودها ، و من ثم نقرّها كمعجزة موجودة و لكنها غير شائعة الحدوث و غير مألوفة؟!

و يرى النابلسي أن المعجزات من فروع الدين و المؤمنون يخاطبون بفروع الدين، و بالتالي هو يقر بأنّه يخاطب المؤمنين مسبقاً بفروع الدين، و ضمنا المعجزة، لذلك لا داعي لسوق الحديث عن المعجزات في كتابه الإعجاز العلمي أصلاً، فهذا لا يخدم موضوع الكتاب و لن يقنع غير المؤمنين بالإيمان ؟!

❖يستمر النابلسي مشكّكاً :" **فإذا كان الأصل مهتزاً فلا جدوى من الحديث عن المعجزات** "

من المفترض أن القارئ – أي قارئ - لدى قراءة " موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن و السنة " سوف يوقن و يؤمن و ليس العكس ، فهو قبل أن يعرض آراءه و معجزاته العلمية يقوم بضربة استباقيّة هدفها وضع المخالفين في خانة " فإذا كان الأصل مهتزا فلا جدوى " و كأنه يأخذ بالكلام منحى قوله تعالى "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ (6) خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ (7) " سورة البقرة طبعاً مع اختلاف السياق، فنقل صلاحيات الهداية و الضلال إلى البشر ، و الاطلاع على أسرار النفوس ،لا يستقيم .

❖**إن الكتاب المدروس " موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن و السنة " يشكو من خلل منهجي مزدوج:**

1 - استباق النتائج قبل البدء بالدراسة

2 - ضعف المنهجية العلمية التي من المفترض أن تميز هكذا أبحاث ؟!

في الكتاب نجد ميلاً إلى مهاجمة الخصوم ،و استغلال غريزة و عاطفة التديّن ،لاحظ : من اعتقد أن الأسباب وحدها تخلق النتائج ، ثم اعتمد على الأسباب وحدها فقد أشرك"ص8 و لاحظ أيضاً : "إذا كان الأصل مهتزاً فلا جدوى من الحديث عن المعجزات"26"

و كذلك في معرض حديثه عن مرض الايذر "...و هذا عقاب عاجل في الدنيا قبل عقاب الآخرة ""27" " حينما تجاوزوا حدود الله عز وجل ، و لم يعبئوا بشرعه و لم يعبئوا بنظافة العلاقة الاجتماعية ، عندئذ جاء هذا المرض ليقلقهم و ليجعل حياتهم جحيماً"28"..الخ

فما ينقص النابلسي - و غيره كثير من رجال الدين - هو الموقف الأخلاقي و الشعور الإنساني ، فبغض النظر عن مُسبِّبات المرض و هي ليست بالضرورة الممارسات الجنسية

الغير مشروعة فقد ينتقل الفيروس عن طريق الدم و بالخطأ عند ذوي المهن الطبية ، و قد ينتقل للزوج أو الزوجة و للأطفال و الخ... - أقول بغض النظر عن مسببات المرض لا يجوز الشماتة بالإنسان المريض ، و هذا سلوك لا ينسجم مع الفهم الحيوي البنّاء للدين و روح الاسلام ، المطلوب هو دعم البحث العلمي حول المرض و طرق العلاج في علاجه ،بدلاً من تدبيج الصفحات في اجترار ما قيل سابقاً من كلام لا يحمل أي سمة من سمات الإبداع و التجديد .

فالعلماء الذين يبحثون و يجتهدون لعلاج الايذر ، هم خير لمجتمعاتهم ، من رجال الدين الشامتين بمصائب البشر ، فهؤلاء - العلماء الحقيقيون - ينقذون الناس من المعاناة و الموت و الشيخ النابلسي و كثير من رجال الدين للأسف يشمت بالناس ، و يقول لهم هذا عقاب الله الذي تستحقونه ، بدلاً من أن يخفف عنهم معاناتهم و يدعمهم على الصعيد النفسي والروحي و يبعث فيهم نوازع الإيمان و الاتكال على الله كما يقوم غيره من رجال الدين في البلدان التي استفحل فيها الوباء.

ثم أن هناك أوبئة كالسارس و السرطان و الجلطات و غيرها لا يحتاج انتقالها إلى سلوكيات لا أخلاقية و إباحية جنسية ، فهل نشمت بهم ، و هل أرسلها اللّه عقاباً على المجتمعات التي تزداد فيها نسبة الإصابة ؟!

فدور رجل الدين من المفترض أن يكون غير ذلك .

لنفترض أن مجتمعاً تفشت فيه الكوليرا ،و هو مرض ينتقل عن طريق التلوث الغذائي – طريق انتقال شرجي فموي طبيا ً - و ليس عن طريق الجنس أو الكحول أو لحم الخنزير ،و حدثت عقب تفشيه نسبة وفاة عالية ،فهل سينبري شيخنا و رجال الدين لتقريع المرضى و ذويهم بأنهم خالفوا أمر اللّه و لم يتقيدوا بالنظافة، و لم ينجزوا نظام صرف صحي جيد ، و لذلك ابتلاهم اللّه بالكوليرا ، فهذا فهم سلبي للدين ، بل عليهم أن يقوموا بدور ايجابي كجمع تبرعات لعلاج المرضى و بث الثقافة الصحية و الوقاية من الأمراض استنادا لأحاديث مشهورة منسوبة للنبي الكريم ، و لرجال الدين كذلك دور في دعم المرضى نفسيا و مطالبة السلطات المحلية و الإدارية بتوقي انتشار المرض .. و هذا واجب أي إنسان

بغض النظر عن عقيدته و دينه فهو التزام أنساني و فطرة حسنة تسري في دماء البشر.

❖الكتاب موضوع الدراسة يرى الإعجاز العلمي حقيقة دامغة

- راجع الصفحة رقم 10 - ، و هو لم ينته بعد من صياغة مقدمة الكتاب ،و يرى القرآن معجزة مستمرة خص الله بها " النبي محمد" دون غيره من الأنبياء السابقين يقول" إذن معجزاتهم كتألق عود الثقاب ، وقعت مرة واحدة ، و أصبحت خبراً يصدقه من يصدقه و يكذبه من يكذبه"29"

تعقيب:

دعوى إعجاز الكتب المقدّسة لا تخص القرآن الكريم عند المسلمين فقط ، بل هي ظاهرة عامة نجدها في معظم "مجتمعات الكتاب المقدّس " عند المسيحيين اليهود كما في دعاوى إعجاز العهد القديم و الجديد مثلا .

ولقد فشلت كل هذه الدراسات حول الإعجاز العلمي – وفي كل الأديان حول العالم - في استلهام صناعة حتى عود ثقاب أو عقار دوائي مفيد انطلاقاً من نصوص مقدّسة ؟!

فهكذا أحكام بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم دون الكتب المقدّسة الأخرى ، من المفترض أن تكون نتيجة البحث و ليس كمقدّمة ينطلق منها البحث ، ثمّ إن الكتاب موضوع الدارسة لا يعرض لأي دراسة مقارنة مع الكتب المقدّسة الأخرى تتيح للنابلسي إطلاق حكم بكون الاعجاز العلمي خاصّة يتفرّد فيها القرآن الكريم دون غيره .

هكذا أحكام.

❖**إن المادة الأولية من النصوص القرآنية** - موضوع دراسة النابلسي - حول الإعجاز العلمي يحددها في "1300" آية :" ففي القرآن الكريم ألف و ثلاثمائة آية تتحدث عن الكون و عن خلق الإنسان، و هذه الآيات تقترب من سدس القرآن، و إذا كانت آيات الأمر تقتضي الطاعة و آيات النهي تقتضي الترك، فماذا تقتضي آيات الكون ؟ إنها تقتضي التفكر ، لذلك ورد في الأثر : تفكر ساعة خير من قيام ليلة" و لحكمة بالغة لم يفسرها النبي "ص" هذه الآيات ، إما

باجتهاد منه ، أو بتوجيه من الله جلّتْ حكمته ، لأنه لو فسرها على نحو يناسب فهم من حوله لأنكر هذا التفسير من سيأتي بعده، و لو فسرها تفسيراً يفهمه من سيأتي بعده لاستغلق هذا التفسير على من حوله، لذلك تركت هذه الآيات للعصور اللاحقة ليكشف التقدم العلمي في كل عصر جوانب الإعجاز فيها و بهذا يكون القرآن الكريم بما فيه من آيات كونية معجزة مستمرة إلى يوم القيامة "30" .

التعقيب :

إذا كانت هذه الآيات - وهي سدس القرآن – غير مفهومة و غير مستوعبة قبل عصر الاكتشافات العلمية الحديثة ،فهذا يعني أنها نصوص مستغلقة لم يكن لها مفاعيل في العصور السابقة ، و قد فعِّلت هذه النصوص الآن في ضوء معطيات العلم الحديث ؟! ترى هل يخاطب النبي الكريم مجتمعه و أصحابه بلغة و عن أمور لا يفهمونها ؟! لتوضيح ذلك سأسوق عدد من الآيات التي يعنيها بقوله " آيات كونية تقتضي التفكر و آيات الله في الآفاق " :

1 - قل انظروا ماذا في السماوات و الأرض و ما تغني الآيات و النذر عن قوم لا يؤمنون - يونس 10

2 - فلينظر الإنسان إلى طعامه ، أنا صببنا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا، فأنبتنا فيها حباً ، و عنباً و قضبا ، و زيتونا و نخلاً ، و حدائق غلبا - عبس24 -30

3 - فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى و الله أعلم بما وضعت و ليس الذكر كالأنثى - آل عمران 36

4 - إن في خلق السماوات و الأرض و اختلاف الليل و النهار و الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس و ما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها و بث فيها من كل دابة و تصريف الرياح و السحاب المسخر بين السماء و الأرض لآيات لقوم يعقلون " البقرة 164

فكلها آيات لا تحتاج إلى شرح فمن يقرأها - من الناطقين بالعربية - يستوعبها، هي تأملات في الكون و الحياة و الليل و النهار و السماء و الأرض...فليس في الآيات ما يوحي بإعجاز علمي.

فالإعجاز – من منظور إيماني - هو في عملية الخلق بحد ذاتها ،و ليس في النص القرآني الذي يتناول الخلق و يدعوا للتفكر فيه ؟!

ببساطة الآية تقول لنا لنتأمل السفن و نتأمل إخراج الأرض للبذور بعد المطر لنرى عظمة الله فالآيات المذكورة عملت مفاعيلها و لا تزال مفاعيلها إلى الآن و للمستقبل، و يجب أخذها في الإطار العام من دون تفاصيل، فالآيات ليست علمية بل هي تأملية فكرية إيمانية واضحة الدلالة ، و تصنيفها كإعجاز علمي هو من باب تحميل الشيء ما لا يحتمل ، و سأعرض لنماذج أخرى بعد قليل.

❖أعود للتساؤل الذي عرضته في بداية الفصل : ما هو تعريف النابلسي للعلم ، و ما ذا يقصد به ؟

من يحتجّ بالعلم و الإعجاز العلمي عليه أن يحترم العلم كمنظومة يحكمها المنهج العلمي القائم على الاستنتاج و الملاحظة ، و يجب فهم العلم في هذا السياق بمعناه المصطلحي الخاص و ليس شيء آخر

و لكن النابلسي ما زال على عادة الفلاسفة و الأصوليين و المتصوفة الإسلاميين في القرون الوسطى يمطِّط مفهوم العلم

، ليرى : علم الحقيقة و علم الشريعة و علم الخليقة ، و يجذبنا بذلك نحو دائرة اللاهوت و علم العقائد الإسلامية.
فما يطلق علية **علم الحقيقة** هو العلم باللّٰه و ليس العلم بالمعنى الخاص، و هو بصورة أدق معرفة ذات أبعاد كلامية صوفية حدسية،و يستدل على علم الحقيقة بنصوص قرآنية ، و الاستدلال يتم هنا خارج إطار الإعجاز العلمي و البحث – الفرضية – المراد إثباتها .

أما **علم الشريعة** فهو ليس أكثر من الفقه ، و هو علم على سبيل المجاز فقط ، مثلما نقول علم الصيام و علم المواريث أو علم أحكام الوضوء.... فهذا يعني المعرفة من وجهة نظر عقائدية شرعية نصية أي الأحكام و أدلتها ، و هو مبثوث في كتب الفقه و هذا خارج إطار الإعجاز العلمي.
و أما العلم الأخير من "العلوم النابلسية " هو علم الخليقة ، و يقصد به العلوم الخاصة و هي موضوع البحث ، و السرد السابق هو لتأكيد بداهة مفقودة في موسوعة النابلسي للإعجاز ، و هي أنه يؤلف موسوعة إعجاز علمي ،و لا يعرِّف و لا يضبط مصطلح العلم ؟!

و نتابع فهدف "علوم الخليقة " هو هزيمة الأعداء و التفوق عليهم .. أي التطبيقات العسكرية المرتبطة بعقلية الغزو التي يستجلبها النابلسي إلى الحاضر .؟!

فالعلوم تساعدنا في حل مشاكلنا بما يحسن وضع الأفراد و المجتمعات و تخفيف آلام الإنسان و السيطرة أو الانسجام مع الطبيعة و توفير طاقاته ، و لا يمنع استخدامها في ردع ظلم و لكن ليست "علوم الخليقة " أساساً للغزو و رباط الخيل و تصنيع جنازير الدبابات،

فهل نحن أمام منطق للعلم أو منطق للغزو ؟!

❖**النابلسي يميز بين نص قطعي و نص ظني** ، فالنص القطعي هو الذي يوافق النظريات العلمية ، و النص الظني هو ما لا يوافق الحقيقة العلمية بحيث يستوجب تأويله ليوافق.

النابلسي هنا يتبنى تفسيراً - حسب الطلب - للنصوص القطعية و الظنية ؟!

فما الضوابط التي يلزم بها النابلسي نفسه في بحثه عن الإعجاز العلمي ؟

و نتوقف هنا عند ثالثا : ألا تجعل حقائق القرآن موضوع نظر، بل أن تجعل الحقائق هي الأصل".

و هذا خلل منهجي فالبحث – أي بحث -يقوم على الشك المنهجي ، فمن يكتب أي بحث علمي و في مثالنا هنا " **موسوعة إعجاز علمي** " عليه ألا يقرر الحقائق بداية، فكل الحقائق هي موضوع نظر، و من ثم - بعد النقاش و التمحيص - تثبت هذه "الحقائق " أو تتداعى ، و لكن ما يعرضه النابلسي يمكن تفهمه – من دون تبرير له - عندما يقرِّر رجل دين تقليدي مناقشة أي قضية بما فيها القضايا العلمية .

❖يورد الكتاب ما يلي حول توافق العقل و النقل : " كنت أحرص على أن أجمع بين حقائق الدين و حقائق العلم لترسيخ حقيقة غابت عن كثير من المسلمين ، و هي أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل القرآن ، و أن الحق دائرة تتقاطع فيها خطوط العقل الصحيح و النقل الصريح و الفطرة السليمة و الواقع الموضوعي، لذلك لا تغيب الفطرة العلمية عن كل خطابات الدين"

التعقيب :

هذه بحد ذاتها مقولة مثيرة للجدل ، تُعرض في مقدمة الكتاب ،و يُطلب من القارئ التسليم بها ،و ليست بالضرورة أن تكون خاطئة أو صحيحة ،و لكن المطلوب البرهنة عليها ، و ليس الاستناد عليها ، فما المقصود بالنقل الصريح،و هل هو تفسير متفق عليه بين عموم البشر بمن فيهم المسلمين ، عداك عن غيرهم ؟! هل هو صحيح بنسبة 100 ٪ أم 99 ٪ على سبيل المثال ؟! و معايير "النقل الصريح " يجب أن تتوافق مع المنهجية العلمية التاريخية ،و هل النقل الصريح شيء آخر غير العقل الصريح مادام النقل يجب أن يُبَرْهَن عليه علميّا ؟!

❖يميز الكتاب بين التفسير العلمي و الإعجاز العلمي ، فيرى أن الإعجاز العلمي هو "إخبار القرآن الكريم و السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي أخيراً ، و ثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ص" "31".

و هذا تعريف سليم كطرح مبدئي ،و لكن لاحظ المنطق المتناقض و الخلل المنهجي في خطة الكتاب : " لا يمكن أن

يقع صدام بين قطعي من الوحي و قطعي من العلم التجريبي ""32" .

التعقيب :

يمكن للنابلسي في نهاية بحثه أن يتوصل إلى نتيجة مفادها أنه لا يوجد صدام بين قطعي الوحي و قطعي العلم ، و ليس هذا فرضية ينطلق منها البحث ، فتعبير **"لا يمكن أن يقع صدام "** يجزم بعدم وجود هذا الصدام في الحاضر أو المستقبل ، و هو يفترض استباقاً وجود حقيقة يضمنها منهجه و مقدماته للبحث.

❖يتابع **النابلسي : و قد ألف غير واحد من العلماء كتباً تؤكد حتمية توافق العقل** مع النقل "33" .

التعقيب:

كيف يمكن الانطلاق من هكذا حتمية في "بحث علمي " يُعْجِز العلم ؟!

كان يمكن أن يقول : العقل – وفق ما أرى - يوافق النقل و دليلي كذا و كذا و هذا مذهب ابن رشد و ابن الطفيل و غيرهم ...و لكن بالمقابل ألف غير واحد من العلماء كتباً

تؤكد أولوية العقل على النقل ، أو أولوية النقل أو اصطدام العقل مع النقل ..؟

ثم إن هذه الثنائية استنفذت أغراضها على مدى عشرات القرون، فالنقل نتثبت منه بواسطة عرضه على العقل، و تفسير النقل يتم بالعقل ؟!

فكيف يمكن إدخال العقل كطرف في ثنائية مع النقل .

❖النابلسي **يرفض النظرية العلمية إذا تعارضت مع دلالة قطعية** للنص، لاحظ " إذا وقع التعارض بين دلالة قطعية للنص و نظرية علمية ، رفض هذه النظرية لأن النص وحي من الذي.. "34"

يورد كذلك : و إذا وقع التوافق بينهما كان النص دليلاً على صحة تلك النظرية " "35"

التعقيب :

ثمّة اضطراب في المنهج ، كيف نرفض نظرية علمية وفقاً لمعايير من خارج العلم ؟!

❖ثالثاً: نقاش حول نماذج من آيات الله في الإنسان

إن كتاب "موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن و السنة " هو عرض لمعلومات معروفة، نجدها في أي موسوعة علمية عامة ، و هي معلومات لم ترد لا في القرآن و لا في السنة، و لكنها تدخل في باب تبسيط العلوم و جعله في متناول العامة ، و الحقيقة أن النابلسي يعرضها بسياق شائق يذكرني ببرنامج أطفال " اسألوا لبيبة " كنتُ من المدمنين عليه أثناء طفولتي لفائدته ، كونه يطلعك على معلومات علمية مبسطة و مفيدة.

و سأثبت مثالا واحدا من مئات الأمثلة التي لا تكلِّف صاحبها سوى تصفح كتاب و نقل محتوياته؟

❖مثال "1"

" و في شبكية العين عشر طبقات ، فيها مئة و أربعون مليون مستقبل للضوء ما بين مخروط و عصية ، و يخرج من العين إلى الدماغ عصب بصري يحتوي خمسة آلاف ليف عصبي""36"

" و كذلك على سطح اللسان تسعة آلاف نتوء ذوقي ، لمعرفة الطعم الحلو و الحامض و المر و المالح ، ثم تنقل هذا الطعم

إلى الدماغ و إن كل حرف ينطقه اللسان يسهم في تكوينه سبع عشرة عضلة "

هل ذكرت الآيات القرآنية عدد نتوءات اللسان الذوقية أو عدد طبقات العين ..؟! هذا كلام مفيد منقول عن كتب الآخرين، ما علاقته بالإعجاز العلمي للقرآن و السنة!

فالنابلسي يعرض لما " قالت لبيبة " من المعلومات التي ذكرتها أعلاه، و يورد بعد ذلك آية قرآنية يختم بها الفقرة أو الفصل و هي " و في أنفسكم أفلا تبصرون " "37"

يمكن تفهّم دعوة القرآن للتفكُّر في خلق اللّه للإنسان ، و عجائب هذا الخلق، و من ثم استحضار عظمة الخالق ..و لو أن النابلسي في مقدمة كتابه لم يلزم نفسه بمنهج ، و لم يلزم نفسه بأن يرينا المعجزة العلمية النصية لما وقفنا على ذلك، أين الإعجاز و فق تعريفه هو للإعجاز ؟!

أين الإعجاز الذي أثبته العلم التجريبي و ثبت عدم إدراكه بالوسائل البشرية في زمن النبي الكريم " و أين الحقائق العلمية دليل عالمية الرسالة الإسلامية ""38" ؟!

لو كان عنوان الكتاب : "تأملات في خلق الكون و الإنسان " لما طالبه أحدٌ بشيء ، و لكن أن يبدأ الكتاب بتعريفات و

معايير للإعجاز علمي و حقائق و علم و تحدّي ..الخ ثم ينسى ذلك عقب ذكرها في مقدّمة الكتاب ، فهذا يتنافى مع أسس أي بحث علمي أو أكاديمي.

طريقة لعرض السابقة الذي ذكرتُها تنسحب على معظم كتاب**"موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن و السنة "** ، فمن المفترض وفق "منطق إثبات الإعجاز العلمي " أن يذكر النابلسي آية قرآنية و يفسِّرها و فق دلالات اللغة الصريحة لا المجازية، ثم يذكر معلومة علمية موثّقة متطابقة مع دلالة ما تقوله الآية القرآنية،ثم يصل بنا إلى نتيجة مفادها هذا إعجاز علمي للقرآن بالبرهان و الدليل القاطع .

نتابع ما فعل النابلسي في الفصل التالي: " و ليس الذكر كالأنثى"؟

❖مثال"2"

بعد أن يورد النابلسي الآية التالية : فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى و ليس الذكر كالأنثى " آل عمران "39 "

يسرد النابلسي معلومات علمية عامة ،منها على سبيل المثال : " يقول أحد العلماء الأطباء بعد دراسة طويلة أثبتها في كتب

معتمدة : إن قامة المرأة في جميع الأجناس أقصر من قامة الرجل ، بل إن معدل الفرق عند تمام النمو عشر سنتمترات و كذلك الوزن ، فهل الهيكل العظمي للمرأة أخف من هيكل الرجل العظمي...."

التعقيب:

-الآية القرآنية واضحة الدلالة لا تحتمل البس بما معناه : لقد ولدتُ يا ربِّ أنثى، و أنت أعلم بذلك، و الذكر ليس كالأنثى ، و ما تعرضه هو من بداهة الحياة ،فالذكر ليس كالأنثى باتفاق البشر العلماء و غير العلماء، و ليس في ذلك إعجاز، و كلٌ يرى الفروق من وجهة نظره و في حقله ، و قد تحتمل الآية معنى أن الذكر أفضل من الأنثى؟! ، فيجب النظر إلى هذا التفسير وفق المعايير الاجتماعية السائدة آنذاك و في سياق النص.

-لا يذكر النابلسي من هو " أحد العلماء الأطباء " المُستشهد به،و لا يذكر الكتب التي اعتمدها، فالنابلسي لا يوثق معلوماته ، و هذا متكرر كثيرا في الكتاب ، بل يقول ورد في أحد الكتب؟ قال أحد الأطباء؟ في أحد

المؤتمرات العلمية؟ ، قال بعض العلماء المتخصصين بالبيئة..الخ ؟

- فمن البديهي و المعروف لكل الناس أن الرجل أطول من المرأة، و أن وزن المرأة أقل من الرجل، و ليس في ذلك إعجاز ، و لا حاجة للقول قال أحد العلماء الأطباء. و يتابع **"إن مخ الرجل يزيد على مخ المرأة بمائة غرام "40"**

لا أدري هل ذكرتِ الآية القرآنية ذلك قبل 14قرن ؟! كل ما في الأمر أن الآية أقرت بداهة علمية و اجتماعية ، و لا تحتمل كل هذا الإطناب ، فأين الإعجاز ؟!

كلام يتلوه كلام ....و يختم الفقرة بآية قرآنية: و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودة و رحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون" الروم21

و مرة أخرى الآية القرآنية تقرر بداهة كون الإنسان يسكن لزوجه، و ينمو بينهما مودة و رحمة " فالآية القرآنية تقول بما معناه : تفكر أيها الإنسان بذالك ؟ و لكن حشر هذه الآية في الإعجاز العلمي هو الذي يُعترَض عليه؟

-أين الآية القرآنية أو الحديث النبوي الذي يقول أن دماغ الرجل أكبر من دماغ المرأة ب100غ ؟! و هل كان الغرام كمقياس للوزن معروف زمن القرآن و "النبي الكريم محمد ؟"

فالقرآن ليس كتاب علوم ، بل هو كتاب هداية و توحيد و عِبْرَة ، كتاب عقائد يتعرض لخلق الإنسان و الكون بدواعي التفكر و الإيمان بخالق ليس أكثر من ذلك،و لكن من يقولون بالإعجاز العلمي يسيئون استخدام القرآن الكريم.

-في الآية السابقة هناك فكرة مُستغلِقَة على الفهم - أي مثار جدل - هي خلق لكم من أنفسكم" و هو ما لا يقف عنده النابلسي؟!

كيف خلق لكم من أنفسكم و متى و أين و كيف و لماذا ، هل المقصود خلق لكم من أنفسكم أي من بشر مثلكم،أم المقصود التذكير بخلق حواء من آدم أم غير ذلك ؟ و هنا نحيل مصالح الآية إلى البعد العقائدي الغيبي و ليس إلى البعد العلمي للكينونة الاجتماعية.

❖**مثال 3 ": اللون الأخضر .. و الإعجاز "41"**

يورد الكتاب ثلاث آيات قرآنية ورد فيها أن أهل الجنة يلبسون ثياباً لونها أخضر

1 - " متكئينَ على رَفرَفٍ خُضْرٍ، و عبقريٍّ حسان، فبأيِّ آلاء ربكما تكذبان " الرحمن76/77

2 - "عليهمْ ثيابُ سندسٍ خُضْرٍ، و إستبرقٌ، و حُلّوا أساورَ من فضةٍ، و سقاهمْ ربُّهمْ شراباً طهورا "الانسان21

3 - " أولئكَ لهمْ جنَّاتُ عدنٍ تجري من تحتهمُ الأنهارُ، يُحَلّونَ فيها من أساورَ منْ ذهبٍ ،و يلبسونَ ثياباً خُضْراً من سُندسٍ و إستبرقٍ متكئينَ فيها على الأرائكِ، نعمَ الثوابُ و حسنتْ مرتفقا " الكهف31

ثم يورد الكتاب الانطباعات الشعورية و النفسية عند رؤية الإنسان للون الأخضر : لكن اللون الذي يبعث السرور داخل النفس البشرية ، و يثير بواعث البهجة فيها هو اللون الأخضر، لذلك جعل الله النبات أخضر اللون، هذه المساحات الخضراء في الأرض تبعث في النفس البهجة، لذلك اختيرت ثياب الجراحين من اللون الأخضر، لأن المريض – و

هو على وشك أن تجري له العملية – يشعر بالبهجة و هو يرى اللون الأخضر، ومما يلفت النظر أن الله سبحانه و تعالى ذكر أهل الجنة ، و ذكر ما في الجنة من نعيم، وورد اللون الأخضر في هذه الآيات" انتهى .

التعقيب :

-إن القول بأن اللون الأخضر يبعث في النفس البهجة ، و لذلك - جعله الله - لون النبات هي معلومة قديمة قدم الانسان ليست محل خلاف بين البشر ،و هي ليست بمعجزة ، أو إخبار عن غيب.

-أما كون ثياب أهل الجنة خضراء كناية على النعيم و الراحة النفسية التي يعيشونها ،

فإنَّ الجمال و الراحة النفسية تأتي من التناسق بين الألوان و انسجامها ، و ليس من كون الثياب بلون واحد ، تخيَّل كل الناس في شارع ما يلبسون ثياباً خضراء فقط، إن هذا لن يشعرك بالبهجة و الطمأنينة بل سيكون العكس هو الصحيح ،فكل الألوان زيِّنت للناس ، و الآيات القرآنية

المذكورة لا تعني أن المؤمنين لا يلبسون ثياباً بألوان أخرى ،و هذه الآيات لم ترد في سياق إعجاز و تحدّي ؟!

-النابلسي يورد آيات قرآنية ورد فيها أن أهل الجنة يلبسون ثياباً بلون أخضر، ثم يذكر معلومات عن الألوان و اللون الأخضر معروفة لطلاب المدارس الابتدائية ، ثم يقول لنا تأملوا هذا الإعجاز البديع!ببساطة أين الإعجاز ؟!

❖مثال " 4 ": تحت عنوان علاقة الغضب بالصحة "42"

يورد الكتاب معلومات عن الانعكاسات السلبية للغضب على الصحة، و هو مما يعرفه عموم الناس قديماً و حديثاً بالتجربة قبل القراءة، و يورد معلومات عن دور الغضب في رفع السكري و شحوم الدم و الإمساك المزمن و إضعاف المناعة، ثم يورد حديث أبو هريرة: أن رجلاً قال للنبي "ص": أوصني، قال :"لا تغضب" فردَّدَ مرارا ، قال : لا تغضب " رواه البخاري

أين الإعجاز فكل الناس يعرفون أضرار الغضب على الصعيد النفسي و الجسدي و فائدة ضبط النفس ؟!

❖مثال "5": تحت عنوان "أثر التدخين في القلب و الشرايين"

يورد الكتاب معلومات علمية عامة لها دور تثقيفي طبي حول الجهاز الودي Sympathetic nervous system و دوره في حالات الخطر ، و حول مفاعيل التدخين و النيكوتين في الجسم و تحريضه للجهاز الودي و أثر ذلك في حدوث الجلطة القلبية و الدماغية و كل ذلك معروف و معلوم ، و يمكن وضع الصفحات 421 -422 -423 في كتاب تثقيف صحي، و ليس في كتاب عقائد و إعجاز علمي لأنها ببساطة تسرد هذه المعلومات دون ذكر أي نص أو آية قرآنية أو حديث نبوي ، و أما ختامها في الصفحة 424 فهو آية قرآنية " و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة" هل هذا إعجاز؟!

و للتذكير لم ترد كلمة دخان و تدخين في القرآن ، و لم ترد كلمة جلطة قلبية أو دماغية ،

و لم ترد حتى كلمة شرايين أو أوردة ، و لم ترد كلمة قلب بمعناها الطبي التشريحي؟! فأين الإعجاز العلمي ؟!

و أما الآية القرآنية " **و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** " فهي آية واضحة الدلالة ، صحيحة المعنى تحض الناس على تجنب الضرر و المخاطر .

و لكن أن تكون الآية ذات معاني ايجابية شيء، و القول أنها إعجاز شيء آخر، فهذه الآية من آيات البداهة الكونية في القرآن الكريم ، و كل الناس يعرف بالفطرة أنها جاءت في صياغة عامة و يوجد ما يشابهها في كل الشرائع الدينية و غير الدينية قبل و بعد الإسلام.

رابعاً - مغالطات علمية

❖مثال أول

يورد النابلسي : " قال العلماء : معظم حالات السكري تأتي عقب انفعال شديد لأن الإنسان حينما يغضب تأمر الغدة النخامية – و هي ملكة الغدد - الكظر ، فيعطي أمرا للكبد بطرح كمية كبيرة من السكر ، فيزداد السكر فجأة في الدم، فيعطيه لزوجة و لذلك كان الداء السكري غالبا ما يأتي عقب انفعال شديد جداً"[43]

لا يخبرنا النابلسي من هم العلماء الذين قالوا ،و متى ؟ و ما هي الدراسة التي اعتمد عليها ؟!

علميا :هناك فرق كبير بين أن عبارة "يرتفع سكر الدم عقب انفعال شديد "و هذا صحيح

و بين عبارة "معظم حالات الداء السكري تأتي عقب انفعال شديد ".

فارتفاع سكر الدم عقب الانفعال هو مؤقت ضمن الآليات الفيزيلوجية و ارتكاسات الجسم للشدة النفسية، و لا يؤدي للإصابة بالداء السكري

فالداء السكري : هو ارتفاع دائم و مستمر لسكر الدم و ليس ارتفاعا وقتيا ، و لم يثبت علميا أن الشدة النفسية سبب للإصابة بالداء السكري. و لكن من أسباب ارتفاع سكر الدم عند السكريين و الطبيعيين الشدة النفسية، فأسباب الداء السكري غير واضحة بعد ، و هو ظاهرة معقدة و هناك نظريات و عوامل وراثية مناعية غذائية بيئية ...الخ و قد يعيش الإنسان طوال عمره عصبي المزاج و منفعل دون أن يكون مصاباً بالداء السكري.

❖مثال ثاني

يورد النابلسي المعلومة التالية : **فالحقد و الانفعال أسبابها الشرك" "44"**

التعقيب :

إن الأشخاص الذين يوسمون بالحقودين، نجدهم في كل المجتمعات و كل الأديان و كل الأعراق ، و يمكن أن نعزو ذلك لأسباب بيولوجية و تربوية و ثقافية و ربما الاستعداد الوراثي، فليس الشرك بمسبب للحقد و الانفعال، و لو كان ذلك صحيحا لكان سكان الصين و اليابان و الأوربيين و هم ممن يصنفون – من وجهة نظر دينية اسلامية تقليدية بالمشركين - أكثر المجتمعات حقداً و تعاسة و عدوانية؟

-ما نقول عن الذي يفجر نفسه في سوق تجاري ، أو في جنازة ، أو في مأتم ، و قد قطع تذكرة مضمونة إلى الجنة؟!

-هل عادة الثأر أكثر تفشياً في المجتمعات العربية الإسلامية العشائرية منها مقارنة بالمجتمعات الاسكندينافية معاقل الشرك ؟!

ثم ماذا يقصد بالشرك و المشركين على وجه التحديد ؟!

فثمة جماعات و تيارات إسلامية تعتبر كثير من المسلمين في حكم المشركين ؟!

و إذا كان يُقصد بالمشركين عَبَدَة الأصنام الحجرية و الخشبية ، فهؤلاء تقريباً قد انقرضوا ،و ربما من الحكمة أكثر أن يورد النابلسي على سبيل المثال: " قد يكون الإيمان و التسليم بقضاء الله مفيدا في تخفيف التوتر النفسي و القلق"

❖مثال ثالث

يورد النابلسي المعلومة التالية : **فإن هشاشة العظام ، و سرعة انكسارها و ضعف البنية العظمية سببها النوم ما بعد طلوع الشمس**"45"

و جاء كلامه في سياق الكلام عن أن الأشعة فوق البنفسجية تحرض الجلد على تصنيع Vitamin D إن هشاشة العظم Osteoporosis لا يتعلق أساسا بعوز فيتامين D ، بل هو اضطراب هرموني يتعلق بالتوازن بين الخلايا بانيات العظم و كاسرات العظم ، و علاجه علاج هرموني بالاستروجين و الكالستونين و أدوية أخرى.

فالأسباب المؤهّبة له كثيرة و ليس من بينها نقص أو قلة أو زيادة التعرض للشمس، و لا يورد النابلسي - كعادته -أي مرجع علمي يوثّق المعلومة ، فالشيخ النابلسي لا يميز بين تخلخل العظام Osteoporosis و تلين العظام ، فنحن أمام فبركة لنصل لنتيجة مفادها " إن قرآن الفجر كان مشهودا " و أن دليل إعجاز هذه الآية أن أشعة الشمس تصنع فيتامين D

و لذلك عليكم أن تصلوا الفجر حاضرا و تتلو القرآن و لا تضحوا في نومكم.

❖مثال رابع:

يورد النابلسي المعلومة التالية:**أثبتت الدراسات الطبية الحديثة أن الإنسان الذي ينام ساعات طويلة و على وتيرة واحدة يتعرض للإصابة بأمراض القلب بنسب عالية جدا**"46"

و هذه معلومة ينفرد بها الشيخ النابلسي ، و مرة أخرى نطالب بقرائن التوثيق العلمي؟

الفصل الرابع

فبركات زغلول نجار ... و الأحد عشر كوكبا

أوّلاً - الآية موضوع البحث.

"إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجدين " سورة يوسف 4

تأويل رؤيا يوسف أن الشمس و القمر هما أبواه، والأحد عشر كوكبا هي إخوته الأحد عشر ، كما جاء في تفاسير كثيرة القرآن الكريم ،فيورد ابن كثير:وَقَدْ تَكَلَّمَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى تَعْبِير هَذَا الْمَنَام أَنَّ الْأَحَد عَشَر كَوْكَبًا عِبَارَة عَنْ إِخْوَته وَكَانُوا أَحَد عَشَر رَجُلًا سِوَاهُ وَالشَّمْس وَالْقَمَر عِبَارَة عَنْ أُمّه وَأَبِيهِ"

و كان ذلك السجود تعبيرا عن فرح والديه بلقائه بعد طول غياب ، و قد تحقَّق تأويل هذه الرؤيا في ختام سورة يوسف نفسها " و رفع أبويه على العرش، و خروا له سجدا ، و قال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها أبي حقا " سورة يوسف 100

فتفسير الآية الرابعة من سورة يوسف واضح تماما ضمن سياق قصة يوسف نفسها، فالرؤيا بطبيعتها رمزية - و هذا يشمل كل رؤيا و حلم - و ما يميز رؤيا يوسف هنا أنها تحققت بالواقع، انسجاما مع خصوصية منسوبة لرؤيا الأنبياء باعتبارها استشراف يتحقق في المستقبل.

ثانياً - رأي زغلول نجار في أوجه الإعجاز العلمي في الآية .

بعد أن يعرض لمعلومات عامة تتعلق بكواكب المجموعة الشمسية و تواريخ اكتشافها يورد : من هذا الاستعراض يتضح أن عدد كواكب المجموعة الشمسية أحد عشر كوكبا كما جاء في رؤيا نبي الله يوسف عليه السلام ، و الكوكب هو كل جسم كروي من أجرام السماء يدور حول ذاته، و يجري في مدار محدد له حول الشمس، و بعض

الكواكب لها قمر واحد أو أكثر من قمر على هيئة تابع أو توابع..الخ

هذه الحقيقة لم تتأكّد إلا باكتشاف كوكب "سيدنا " في 14 - 11 - 2003 ، و سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى عدد كواكب المجموعة الشمسية و لو بطريقة ضمنية في رؤيا منامية لنبي من أنبياء الله، يعتبر من آيات الإعجاز العلمي في كتاب الله تعالى، و قد يحذِّر دارس من إمكانية اكتشاف كوكب جديد ،و لكن على بعد أكثر من تسعين وحدة فلكية " و هي المسافة الفاصلة بين الكوكب الحادي عشر و الشمس" يتعذر على جاذبية الشمس الإمساك بأحد أجرام السماء الذي ينطبق عليه وصف الكوكب. و على ذلك فإن قول ربنا - تبارك و تعالى - على لسان عبده و نبيه يوسف عليه السلام إذ قال: "إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي ساجدين" يوسف 4

<u>فيه سبق زمني بأكثر من أربعة عشر قرنا بحقيقة علمية لم تصل إليها العلوم المكتشفة إلا سنة 2003 و بعد ، مجاهده استغرقت آلاف العلماء لمئات السنين، و هذا السبق</u>

العلمي لا يمكن لعالم أن يتصور له مصدر آخر غير الله الخالق . فالحمد لله الذي أنزل القرآن الكريم على خاتم النبيين"1"

و يورد زغلول نجار كذلك : من الإشارات الكونية في سورة يوسف : الإشارة إلى عدد كواكب مجموعتنا الشمسية الأحد عشر بدقة بالغة ، فليس من قبيل المصادفة أن يكون عدد أخوة يوسف – عليه السلام - أحد عشر، و يكون عدد الكواكب في مجموعتنا الشمسية بنفس العدد " 2

ثالثاً - التعقيب النقدي.

❖ما دلالة كلمة "كوكب " ؟

يرتبط حقل العلم ارتباطاً و ثيقاً بالمصطلح ، فلا علم من دون مصطلحات علمية مُعَرَّفة و محدَّدة بدقة من قبل المشتغلين في هذا العلم أو ذاك.

و بذلك يصبح لدينا نوعين من الدلالة للكلمات:

الدلالة الأولى : هي الدلالة - أو الدلالات - المتداولة التي نجدها في لغة التداول اليومي و قواميس اللغة و هي دلالة لا يمكن عزلها عن التاريخ و البيئة ،فثمة كلمات تموت و ثمة

كلمات تولد ،و ثمة كلمات يعاد إحياؤها و أخرى تكتسب دلالات جديدة الخ

الدلالة الثانية: و هي الدلالة المصطلحية و هي دلالة يتم التواضع عليها و تقييد دلالتها بدقة ، بغية استخدامها كمصطلح علمي،و الدلالة المصطلحية هي بالضرورة تالية للدلالة الأولى ، و ترتبط بمستوى معين من التقدم في تاريخ الأمم يسمح باستقلالية العلوم و بالبحث العلمي.

و لنتوقف الآن مع دلالة كلمة "كوكب " ، زغلول نجار يستخدم كلمة كوكب – كما وردت في النص القرآني في القرن السابع الميلادي - بنفس دلالتها كمصطلح علمي في علم الفلك ، و هي كما معروف – أي دلالتها المصطلحية الدقيقة - ما كان لها أن توجد قبل اكتشاف التلسكوب مثلا ، و تمييز الأجرام السماوية المضيئة بذاتها كالنجوم عن الأجرام العاكسة للضوء كالكواكب.

تعريف زغلول النجار ينتمي إلى الدلالة المصطلحية العلمية ،لاحظ قوله : و الكوكب هو كل جسم كروي من أجرام السماء يدور حول ذاته، و يجري في مدار محدَّد له حول

الشمس، و بعض الكواكب لها قمر واحد أو أكثر من قمر على هيئة تابع أو توابع..الخ"

و هو كما سنتبيّن بعد قليل تعريف غير دقيق، و إذا ما أخذنا به فسوف يكون لدينا عدد كبير من الكواكب ، بما يتجاوز الأحد عشر كوكبا التي جزم زغلول نجار بكونها كواكب المجموعة الشمسية.و هذه نقطة جوهرية لا يجوز بأي حال من الأحوال التغاضي عنها لأي باحث جاد يستخدم المنهجية العلمية في البحث.فما هي الدلالة المتداولة لكلمة كوكب في العربية ، ما هي دلالتها في لغة العرب المخاطبين بالقران الكريم كونهم المستهدفين به بداية.

ورد في لسان العرب "ابن منظور متوفي 711هجري"

" الكَوْكَبُ ، معروف ، من كَواكِبِ السماءِ ، ويُشَبَّه به النَّور ، فيُسَمى كَوْكَباً ؛ قال الأَعشى :

يُضاحِكُ الشَّمْسَ منها كَوْكَبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ بعَمِيمِ النَّبْتِ، مُكْتَهِلُ و

عند ابن سيده وغيره: الكَوْكَبُ والكَوْكَبَةُ: النَّجْم" ، "وكَوْكَبُ الرَّوْضة: نَوْرُها. وكَوْكَبُ الحديد: بَريقُه وتوَقُّدُه"3"

فالكوكب عندهم مرادف النجم ،و هو مما يشبَّه بالنور و التوقد و البريق.و لا أثر للدلالة المصطلحية العلمية و هذا طبيعي و مفهوم في سياقه التاريخي .

و كذلك في المواضع التي وردت فيها كلمة كوكب في القرآن الكريم لا ترد بدلالتها المصطلحية العلمية ، و ليس ذلك بمثار استغراب بل هو أمر مفهوم تماما فالقرآن الكريم ليس بكتاب متخصص بعلم فلك ، لاحظ الآيات التالية:

"فلما جن عليه الليل رأى كوكبا"سورة الأنعام 76 "و إذا الكواكب انتثرت " سورة الانفطار 2 " إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب " سورة الصافات 6

❖الكوكب كمصطلح علمي – كواكب المجموعة الشمسية.

بداية المصدر الذي استندت إليه هو ويكيبيديا ، و هي موسوعة علمية ميسرة موثقة متاحة لعموم متصفحي النت حول العالم .

"ربما كانت الخمسة كواكب التي تُرى بالعين المجردة معروفة منذ قديم الأزل، وقد كان لتلك الكواكب آثار

بالغة على الأساطير والعلوم الكونية الدينية وعلم الفلك القديم. ومع تطور المعرفة العلمية، تغير مفهوم كلمة "كوكب" من مجرد جسم يهيم في السماء (لحول نجم معين) إلى جسم يدور حول الأرض (أو هكذا كان يُعتقد قديمًا)، إلى أن اكتشفنا في القرن السادس عشر أن الكواكب تدور حول الشمس"

"و قد لاحظ علماء الفلك كيف أن أضواءً معينة تسري في السماء في اتجاه نجوم بعينها. وقد أطلق قدماء الإغريق على تلك الأضواء "ἀστέρες πλάνητες" (*planetes asteres* (بمعنى النجوم السيّارة) أو "πλανήτοι" (*planētoi* (بمعنى السيّارة فقط) ومنه اشتقت كلمة "كواكب" الحالية.[4][5] وكان هذا الاعتقاد سائدًا لأن النجوم والكواكب كانت تبدو لسكان كوكب الأرض كما لو كانت تحوم يوميًا حول الأرض،[6] وكان المفهوم الفطري هو أن كوكب الأرض ثابت ومستقر وغير متحرك." بينما الكوكب كمصطلح علمي عرّفه رسميا الاتحاد الفلكي الدولي عام 2006 بما يلي:" الكَوكَب جرم سماوي يدور في مدار حول نجم أو بقايا نجم في السماء، وهو

كبير بما يكفي ليصبح شكله مستديرًا بفعل قوة جاذبيته، ولكنه ليس ضخمًا بما يكفي لدرجة حدوث اندماج نووي حراري، ويستطيع أن يخلي مداره من الكواكب الجنينية الكويكبات."

وبناء على التعريف السابق فقد " تقلص عدد الكواكب إلى أكبر ثمانية كواكب من حيث الحجم والتي استطاعت تخلي مدارها من الكويكبات (عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشترى وزحل وأورانوس ونبتون)، وتم إضافة قائمة أخرى تضم الكواكب القزمة "

"وقد أقر الاتحاد الفلكي الدولي دخول خمسة كواكب قزمة ضمن المجموعة الشمسية وهي سيريز وبلوتو وهوميا و ماكيماكي و إيريس ، و من ناحية أخرى، هناك أجرام أخرى عديدة في حزام الكويكبات وحزام كوبير، لا زالت قيد الدراسة يمكن القول إن خمسين منها يُحتمل ضمُّها لفئة الكواكب القزمة فيما بعد."

"و مع اكتشاف "حزام كوبير" الكبير والعديد من الأجرام السماوية قرصية الشكل المتفرقة في أواخر التسعينيات وأوائل القرن الحادي والعشرين، تم إطلاق لقب الكوكب

العاشر على العديد من الكواكب، مثل كواور وسيدنا وإيريس في العديد من وسائل الإعلام، ولكن أيًا منها لم يُعترف به علميًا إلى الآن".

و نقرأ كذلك:"يعتبر كوكب سيدنا جزء من سحابة أورت أو حزام كويبر، ولا يعتبر كوكبًا حقيقيًا، لكن لا يزال هنالك نقاش حول ذلك "4"

❖تفنيد مقولات زغلول نجار من الناحية العلمية.

يقدم زغلول نجار تصوّراً مبسطاً لكواكب المجموعة الشمسية لا يتسم بالدقة ، فالكواكب من وجهة نظره هي عشرة آخرها و أبعدها عن الشمس كان بلوتو،و مع اكتشاف الكوكب سيدنا أصبح العدد أحد عشر كوكبا . بتوافق تام مع الأحد عشر كوكبا التي رآها يوسف النبي في منامه ؟؟! إنَّ عدد الكواكب السيارة للمجموعة الشمسية الموثق علميا – كما رأينا في الفقرة السابقة - من قبل الاتحاد الفلكي الدولي هو ثمانية أبعدها هو نبتون.بالإضافة لكواكب قزمة عددها كبير وثق منها حتى 2006 خمسة كواكب ينطبق عليها تعريف

زغلول النجار نفسه الذي أقره.

لنلاحظ تعريفه :" الكوكب هو كل جسم كروي من أجرام السماء يدور حول ذاته، و يجري في مدار محدد له حول الشمس، و بعض الكواكب لها قمر واحد أو أكثر من قمر على هيئة تابع أو توابع..الخ" و الكواكب القزمة ينطبق عليها تعريفه ، و بالتالي فهو قد ناقض تعريفه للكواكب و حصرها في أحد عشر كوكبا بدلا من 8+5 =13 على الأقل. ثم لا أدري كيف لعالم يحمل درجة الدكتوراه أن يتجاهل التعريف العلمي لمصطلح كوكب كما أقره أهل التخصص" الاتحاد الفلكي الدولي تعريف 2003 -و تعريف 2006 " بل انه لم يأت على ذكرهما إطلاقا. ثم إن كوكب بلوتو نفسه لم يعترف به ككوكب سيَّار بل ككوكب قزم ؟! رغم أن زغلول النجار صنّفه ككوكب دون الإشارة إلى الكواكب القزمة و ضمنها بلوتو.و أما إشارته إلى كوكب" سيدنا" فقد جاءت مجتزئة و انتقائية بما يخدم غرض مسبق غرض تصنيع الإعجاز العلمي؟ لاحظ ما ورد في ويكيبيديا :**"تم إطلاق لقب الكوكب العاشر على العديد من الكواكب، مثل كواور**

وسيدنا و إيريس في العديد من وسائل الإعلام، ولكن أيًا منها لم يُعترف به علميًا إلى الآن" فالكوكب العاشر الذي سماه زغلول نجار ب كوكب"سيدنا" و هي تسمية إعلامية غير موثقة علميا حتى تاريخ نشره المقال 2006 م ، و هي في الحقيقة تسمية تطلق – إعلاميا - على كواكب أخرى منها "كواور – ايريس" و لا تخص كوكب "سيدنا" الذي خصه زغلول النجار ، و لماذا لم يعلق زغلول النجار على هذه المعلومة :**"يعتبر كوكب سيدنا جزء من سحابة أورت أو حزام كويبر، ولا يعتبر كوكبًا حقيقيًا**، لكن لا يزال هنالك نقاش حول ذلك." و اعتبر اكتشاف كوكب " سيدنا" حقيقة نهائية مُدشّنة و ختم بالشمع الأحمر على كواكب المجموعة الشمسية و عددها ،لاحظ قوله: **" و قد يحذِّر دارس** من إمكانية اكتشاف كوكب جديد. و لكن على بعد أكثر من تسعين وحدة فلكية " و هي المسافة الفاصلة بين الكوكب الحادي عشر و الشمس" يتعذر على جاذبية الشمس الإمساك بأحد أجرام السماء الذي ينطبق عليه وصف الكوكب " و يتجاهل المعلومة التالية :"يعتبر كوكب سيدنا جزء من سحابة أورت أو حزام كويبر، ولا

يعتبر كوكبًا حقيقيًا ، لكن لا يزال هنالك نقاش حول ذلك" و أيا كان الأمر فالفكرة التي أودُّ توضيحها هي أن عدد كواكب المجموعة الشمسية قضية معقدة و إشكالية من الناحية العلمية و هناك الكثير مما يجهله العلم بشأنها و لم يحسم العلم شأنه حولها ، و ليس كما أوردها زغلول النجار ، فمثلاً لاحظ هذه المعلومة الواردة في ويكيبيديا : و من ناحية أخرى، هناك أجرام أخرى عديدة في حزام الكويكبات وحزام كوبير لا زالت قيد الدراسة يمكن القول إن خمسين منها يُحتمل ضمُّها لفئة الكواكب القزمة فيما بعد." إن قرار زغلول نجار بتقيد عدد كواكب المجموعة الشمسية بأحد عشر تم بعملية الخطف خلفا ، فالحقيقة عنده هي حقيقة الأحد عشر كوكبا ؟! و كل ما كتبه في مقاله هو تصنيع مسبق مع مسوح علمي. فمجموعة الأجرام السماوية التي تسمى "الكويكبات" يطلق عليها اسم " الكوكب الثامن من كواكب المجموعة الشمسية" مع أنها ليست كوكب بل مجموعة كواكب صغيرة.و يُقدم " بلوتو" و "سيدنا" ككواكب حقيقية ، رغم أنه علميا لا يُعترف بها كذلك.و يسقط من حسابه عشرات الكواكب

القزمة المُكتشفة حاليا و الممكنة الاكتشاف و التعريف مستقبلا؟!

فلو فرضنا – جدلا - أن المذكور في الآية القرآنية أن يوسف النبي رأى عشرة كواكب و الشمس و القمر فتصنيع الإعجاز عندئذ لا يستغرق سوى دقيقة إضافية واحدة : حذف حزام الكويكبات فهي ليست "كوكبا "؟! و بذلك يكون الإعجاز في كون الكواكب السيارة في المجموعة الشمسية عشرة كواكب؟!و إذا كان المطلوب ثمانية كواكب فهذا سهل أيضا و سنتخيل زغلول نجار و غيره من الاعجازيين يقولون لدينا ثمانية كواكب سيارة حقيقية تم توثيقها علمياً من قبل الاتحاد العالمي للفلكيين في 2006م و عندها سيتم إسقاط الكويكبات و بلوتو و سيدنا و غيرها..الخ

و لنا أن نتساءل كذلك إن رؤية يوسف للشمس و القمر و الأحد عشر كوكبا تمت و هو على كوكب الأرض ، و الرؤية من خلال النظر إلى السماء ، أليس من المفترض حذف كوكب الأرض من حساباتنا ؟!و بالتالي يمكن إنقاص عدد الكواكب المرئية لسبعة؟!

قل لي كم كوكبا تريد؟ و سأصنِّعُ لكَ إعجازا علميا في خمس دقائق ؟!

رابعاً : خلاصة

ما سبق عرضه هو مثال لما يقوم به الاعجازيوون من تشويه للعلم و الدين معا ، فكلمة كوكب وردت في القرآن الكريم بدلالتها الرمزية ، بكون الأحد عشر كوكبا ترمز لعدد أخوة يوسف الأحد عشر الذين سجدوا له في نهاية قصة يوسف. و علينا احترام سياق الآية القرآنية دلالتها ، و عدم تحميلها مالا تحتمل، فكلمة المجموعة الشمسية لم ترد في سورة يوسف، و تعريف الكوكب علمياً لم يرد في القرآن الكريم، و هذا ليس نقصا أو قصوراً ، فالقرآن الكريم ليس بكتاب متخصص في علم الفلك و المصطلحات العلمية.

سأورد هذا التعليق المنشور لزغلول نجار : من الإشارات الكونية في سورة يوسف: الإشارة إلى عدد كواكب مجموعتنا الشمسية الأحد عشر بدقة بالغة، فليس من قبيل المصادفة أن يكون عدد أخوة يوسف – عليه السلام - أحد عشر، و يكون عدد الكواكب في مجموعتنا الشمسية

بنفس العدد" لاحظ

كذلك : فيه سبق زمني بأكثر من أربعة عشر قرنا بحقيقة علمية لم تصل إليها العلوم المكتشفة إلا سنة 2003 و بعد ، مجاهده استغرقت آلاف العلماء لمئات السنين، و هذا السبق العلمي لا يمكن لعالم أن يتصور له مصدر آخر غير اللّه الخالق،فالحمد للّه الذي أنزل القرآن الكريم على خاتم النبيين "5"

أين هي الدقة البالغة ، و أين هي الحقيقة العلمية،و أين السبق العلمي ؟!

خامساً - ملاحظة

للأسف لم يكتشف علماء المسلمين أي كوكب من كواكب المجموعة الشمسية ، و الأحد عشر كوكبا؟! و لم يكتشفوا أن الأرض تدور حول الشمس ، و لم يثبتوا كروية الأرض ؟! و لم يتهيأ لهم الصعود إلى القمر بعد مرور ما يزيد عن أربعة عقود على هبوط الإنسان على سطح القمر ؟!

الفصل الخامس

مع موريس بوكاي..... و خلق الإنسان و الإعجاز العلمي

أوّلاً - عرض نقدي

سأتّبع نفس طريقة عرض موريس بوكاي في كتابه " التوراة و الإنجيل و القرآن و العلم "1" الفقرات التي يخصصها منه لموضوع "التكاثر البشري "2" .

بداية لنقف مع هذه الخلاصة التي يثبتها المؤلف في مقدمة الموضوع : يذكر القرآن عن التكاثر عبارات محدّدة لا يشوب أي معلومة منها شائبة بطلان، فكل شيء معبر عنه بعبارات بسيطة سهلة الفهم ،و شديدة الاتفاق مع ما سيكتشفه العلم بعد ظهوره بزمن طويل "3"

التعقيب:

-نقف هنا عند الصيغة الإطلاقيّة و التعميمية في " فكل شيء -لا يشوب أي معلومة - شائبة بطلان - شديدة الاتفاق"

-نقف عن مفهوم للحقيقة مُبسَّط ، يختزلها فيما يتفق مع الحقيقة أو يتناقض معها.

-هل يصح اعتمادا على هذه الفقرة للقول إن موريس بوكاي يقول بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم في موضوعة التكاثر البشري؟

للإجابة على التساؤل الأخير يورد بوكاي :أن ما يقدمه القرآن من معلومات هي " شديدة الاتفاق" مع ما "سيكتشفه العلم " لاحقا "بزمن طويل ".
و مادامت هذه المعلومات معروضة وفقا لتعبيره " بعبارات محددة - بسيطة – سهلة الفهم – لا يشوبها شائبة بطلان" فينتج عن ذلك أن هذا قرينة النسب الالهي لنصوص القرآن الكريم، حيث أن العلم و القرآن يتماثلان هنا بكونهما حقيقة ، و لكن موريس بوكاي لا يشير صراحة إلى "الإعجاز العلمي" ، و ليس لنا أن نقوِّله ما يتعدى الدلالات

التي عرضها ، رغم أن كتاباتهُ ستُستقبل و ستُستثمر فيما بعد على نحو واسع في العالم الإسلامي كونها شهادة من "عالم فرنسي "4" على "الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ".

❖سأتّبع طريقة عرض بوكاي لموضوعة " التكاثر البشري" كونها تتسم بالوضوح و الشمول والعرض الجيد ، حيث يؤكد بداية على الصيغة غير المرتّبة لعرض موضوع التكاثر البشري :"إن التكاثر البشري و قد أثير في عشرات الآيات القرآنية دون ترتيب ظاهر، قد عرض من خلال تعاليم تركز كل منها على نقطة خاصة أو أكثر، و لا بد لتكوين فكرة عامة عنها من إعادة تصنيفها "5"

و ثمّة ملاحظة أخرى يعرضها بوكاي - قبل المضي في عرض النقاط التفصيلية التي يثيرها – هي : يركز القرآن أولا على التصورات المتتابعة للجنين حين يكون في رحم الأمومة : سورة 82 آية 6 -8" يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك"سورة 71 آية 14 " و قد خلقكم أطوارا "6" .

و هي ملاحظة صحيحة، و هي مما يعرفه عموم البشر بحكم الخبرة الحياتية قديما و حديثا ، و ليس فيها ما

يمكن تأويله كإعجاز علمي ، و الآيتان القرآنيتان فحواهما تذكير الإنسان بخلقه، و مراحل هذا الخلق ، و ضرورة توحيد الخالق و الاعتراف بفضله.

❖يورد بوكاي أربع أفكار أساسية حول موضوعة التكاثر البشري في القرآن الكريم:

يوجه النص القرآني الانتباه إلى نقاط عدة تتعلق بالتكاثر التي تبدو و كأنه يمكن ترتيبها كما يلي:

1 - **اللقاح يتم بقليل من السائل**

2 - **طبيعة لقاح السائل**

3 - **حضانة البويضة الملقحة**

4 - **تطور الجنين "7"**

و سأعتمد في تفسيري للآيات القرآنية التي يوردها بوكاي على باقة من التفاسير القرآنية الأكثر انتشاراً "8" إن لزم الأمر ذلك ، و كذلك على معجم لسان العرب "9" لتبيان دلالة الكلمات .

ثانياً - اللقاح يتم بقليل من السائل المنوي

❖**الآية الأولى : خلق الإنسان من نطفة"** سورة 16 - آية 4

-تعقيب بوكاي : على الآية القرآنية :"يشير إلى كمية ضئيلة جدا من السائل حيث يصبح المعنى الثاني قطرة من الماء ، و هنا قطرة من المني للتعبير عنها في آية أخرى بكلمة مني"

- تعقيب كاتب السطور :

دلالة النطفة هنا لا تتفق مع ما هو مستقر حاليا بكونها –أي النطفة – حيوانا منويا ، حيث أن توصيف الحيوان المنوي بالنطفة هو توصيف اصطلاحي من المستحيل البحث عنه أو تأصيله قبل اكتشاف الحيوانات المنوية في السائل المنوي من قبل أنتوني فان ليفينهوك 1677 م فالنطفة هي اسم مرادف للمني ، وفي الحديث النبوي : قال لأَصحابه : هل من وَضوء ؟ فجاء رجل بنُطفة في إدارة؛ أَراد بها ههنا الماء القليل، و به سمي المنيُّ نُطفة لقلته"10"و من المفيد هنا إثبات نص الآية القرآنية المستشهد بها كاملة:

"خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ" للتأكيد على المعنى الإجمالي لتفسير الآية ، و هو حسب تفسير الجلالين : "خَلَقَ الْإِنْسَان مِنْ نُطْفَة" مَنِيّ إِلَى أَنْ صَيَّرَهُ قَوِيًّا شَدِيدًا "فَإِذَا

هُوَ خَصِيم" شَدِيد الْخُصُومَة "مُبِين" بَيَّنَهَا فِي نَفْي الْبَعْث قَائِلًا "مَنْ يُحْيِي الْعِظَام وَهِيَ رَمِيم" تفسير الجلا لين

❖الآية الثانية - ألم يك نطفة من مني يمنى" سورة 7 - آية 37 -

التعقيب :

هذا يتماشى مع الدلالة السابقة الموصوفة للنطفة كما استخدامها العرب، في عصر النبوة .مع الإشارة إلى أنه ثمة خطأ في توثيق السورة القرآنية كما وردت في كتاب بوكاي في نسخته العربية فالصحيح هو السورة 75 "سورة القيامة" ، و ليس السورة 7 "سورة الأعراف " .

❖الآية الثالثة - "ثم جعلناه نطفة في قرار مكين " سورة 23 -آية 13 -

تعقيب بوكاي : على القرار المكين " يراد مكان نمو الإنسان في رحم الأمومة " ، و يضيف كملاحظة ختامية : " المهم بالخصوص هو أن نشير إلى أن قضية الكمية الضئيلة من السائل الضروري للتلقيح متفقة بدقة مع ما نعرفه عنها في هذا العصر "11"

-تعقيب كاتب السطور :

هذا مما يُفْتَرَض معرفته من قبل عموم البشر و أهل الخبرة في عصر النبوة . حيث التأكيد على دلالة النطفة ، و هنا يُضاف دلالة جديدة أنها تصل و تستقر إلى "قرار مكين" ، فدلالة الآيات القرآنية السابقة - وهي دلالات صحيحة – ليس فيها ما يمكن تأويله على أنه إعجاز علمي، أو سابقة اكتشاف علمي مقارنة بالمعارف البشرية المواكبة لها زمنيا .

ثالثاً - طبيعة لقاح السائل

يورد الكتاب : يذكر القرآن هذا السائل الذي يضمن اللقاح بأوصاف يهم تفحصها :

1 - المني كما سبق و حققناه سور 7 - آية 37"

2 - السائل الدافع "سورة 76 آية 6"

3 - السائل المهين "سورة 32 آية 8" و "سورة 77 آية 20"

و يبدو أنه يمكن تفسير وصف المهين، ليس من جهة نوعية السائل بالذات، بل من جهة أنه يصدر عن نهاية الجهاز البولي، مستعيرا المجاز الذي يخرج منه البول"

4 - أمشاج أو مخلوط " إنا خلقناه من نطفة أمشاج"سورة 76 آية 2"

" فإذا رأى بعض الكتاب القدماء الذين لم يكن لهم أدنى فكرة عن فيزيولوجيا التلقيح، و بخاصة ظروفها البيولوجية من جهة المرأة .لقد كانوا يرون أن كلمة أمشاج الواردة في القرآن ،هي مجرد

التقاء العنصرين "و لكن شرَّاحاً محدثين ..صححوا هذا الفهم و كشفوا بأن المني "مشحون بعناصر مختلفة " و إن كانوا لم يفصلوا الحديث فيه و لكن يبدو لي

بأن ملاحظتهم معقولة جدا "12"

التعقيب :

الأوصاف الثلاثة الأولى للسائل "يمنى – الدافع – المهين " لا تتعلق بطبيعة

و تركيب سائل اللقاح و ذكرها هو استطراد فائض ، تمييز بوكاي بين الكتاب القدماء و الشرّاح المحدثين ، و هو تمييز يستند إلى أساس تاريخي تكشفت خلاله معطيات علمية و تجريبية حول عملية اللقاح و التكاثر البشري لم يكن للقرآن و المفسرين صلة في إنتاجها.

هو تمييز – و ينسحب هذا على مجمل المرويّات الإعجازية - يعطي أهمية أقل للنص القرآني مقارنة بالتفسير و التأويل من جهة إنتاج الدلالة و ضبطها .

لنبحث عن دلالة **"نطفة أمشاج"**

أمشاج جاءت هنا صفة للنطفة، و من غير المنطقي - كما ذكرنا - فهم النطفة بمعناها المعاصر الحديث ك "حيوان منوي " ، بل تُأخذ بالدلالة المتعارف عليها المعاصرة للبعثة النبوية ، أي بمعنى "مني - كمية قليلة من السائل المنوي" هذا السائل المنوي يوصف بكونه أمشاج ، أي مختلط ، و لنذكّر بما ورد في تفسير ابن كثير:"قال ابن عباس في قوله: { مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ } يعني: ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا، ثم ينتقل بعد من طور إلى طور، وحال إلى حال، ولون إلى لون. وهكذا قال عكرمة، ومجاهد، والحسن، والربيع بن أنس: الأمشاج: هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة ." و ذكر ابن حيّان في البحر المحيط: وقال ابن عباس أيضاً والكلبي : هي ألوان النطفة . وقيل : أخلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء ، والنطفة أريد بها الجنس"

و بمراجعة ما سبق نجد فهمين للدلالة

الأول: النطفة "السائل المنوي - ماء الرجل" يختلط ب "ماء المرأة " في الرحم فيصبح لدينا نطفة أمشاج خلق منها الإنسان.

الثاني: النطفة "السائل المنوي " هو عبارة عن خليط "عروق" أي أنه يتكون من خليط عناصر. و هذا يتوافق مع فهم كان سائدا في العالم القديم و مشهوراً في نظرية الطب القديم ذو الأصول الإغريقية ،حيث كانوا يسمّون سوائل البدن بالأخلاط فيقال" أخلاط الدم و البلغم و الصفراء و السوداء" و يمكن تبين الأساس المعرفي للأخلاط -آنذاك - بنظرية الأخلاط الأربعة "13"

و لكن أخلاط من ماذا ؟ لا نجد إجابة في متن الآية القرآنية ، و هي لا تقف عند ذلك ، لكون الدلالة العامة للآية لا تقصد العلم بالخاصة، بل تذكّير الإنسان ب" معجزة خلقه" و أن يكون في عداد المهتدين ، و يتبين هذا بإعادة العبارة "نطفة أمشاج" إلى سياق الآية الثانية من صورة الإنسان و ربطها بالآية التي قبلها و بعدها: هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (1) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ

نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3) .

نتابع مع بوكاي:

"السائل المنوي مؤلف من رشاحات تنطف من الغدد التالية:" الغدد المنوية للذكور ..المبايض البروستات ..الغدد المساعدة للمسالك البولية" هذه هي أصول هذه الأمشاج التي يبدو القرآن متكلما عنها كثيرا.

على أنه بالإضافة إلى ما سبق ، إذا تكلم القرآن عن سائل ملقح مكون من عناصر مختلفة، فهو ينبهنا إلى أن نسل الإنسان يتحقق من بعض الأشياء التي يمكن أن تكون مستخرجة من هذا السائل . و هو معنى الآية "8" من السورة "32" " ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين". و الكلمة لعربية "سلالة " مترجمة هنا بكلمة suintessenceالتي تعني "مستخرجا من آخر" بهذه الطريقة أو تلك فإنها تبقى تعني جزءا من كل"14" فالذي أبدى نشاطه إذن هو جزء دقيق جدا انفصل من سائل التكوين الشديد التعقيد.فكيف لا ندهش بالتالي من

الإتقان القائم بين نص القرآن و المعرفة العلمية التي توصلنا إليها في هذه الظواهر؟! "15"

التعقيب:

بداية سأقدّم السياق القرآني كاملاً : الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (9) "سورة السجدة

ففحوى الخطاب هو التذكير بعظمة خلق الله و ليس شيء آخر ، و للوقوف عند دلالات كلمة "سلالة" ، ذكر ابن الجوزي في زاد المسير:

" قال الزجاج : والسُّلالة : فُعالة ، وهي القليل مما يُنْسَل ، وكل مبنيٍّ على «فُعالة» يراد به القليل ، من ذلك : الفُضالة ، والنُّخَالة ، والقُلامة ."

فرغم أن الدلالة التي يثبتها بوكاي للسلالة صحيحة، و لكنها جاءت في صيغة إشارة و لمحة ، لا يمكن الاستناد عليها لبناء أو تأكيد أو نفي نظرية علمية ، و كانت دلالة من دلالات أخري ممكنة نجدها على سبيل المثال :

أولاً - السلالة : بمعنى الخلاصة ، حيث أورد الألوسي في تفسيره: ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8) { ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ } أي ذريته سميت بذلك لأنها تنسل وتنفصل منه { مِن سلالة } أي خلاصة وأصلها ما يسل ويخلص بالتصفية { مّن مَّاء مَّهِينٍ } ممتهن لا يعتني به وهو المني"

ثانياً - السلالة بمعنى الذرية ، حيث أورد الزمخشري في تفسيره: "سميت الذرية نسلاً؛ لأنها تنسل منه ، أي : تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد : سليل ونجل"

ثالثاً - السلالة بمعنى النطفة ، حيث أورد النسفي في تفسيره: والعرب تسمي النطف سلالة أي ولقد خلقنا الإنسان من سلالة يعني من نطفة مسلولة من طين أي من مخلوق من طين وهو آدم عليه السلام { نُّطْفَةٍ } ماء قليل { فِي قَرَارٍ } مستقر يعني الرحم { مَّكِينٍ } حصين"

رابعاً - السلالة بمعنى الطين، حيث أورد الشوكاني في فتح القدير:" وقيل : السلالة : الطين إذا عصرته انسلّ من بين أصابعك؛ فالذي يخرج هو السلالة " "والسلالة فعالة من السلّ ، وهو استخراج الشيء من الشيء ، يقال : سللت الشعرة من

العجين ، والسيف من الغمد فانسلّ ، فالنطفة سلالة ، والولد سليل ، وسلالة أيضاً ، ومنه قول الشاعر :

فجاءت به عضب الأديم غضنفرا ... سلالة فرج كان غير حصين".

و مما يدعم أن هذه المعاني كانت متداولة قرب عصر النبوة هذا البيت المنسوب لأمية بن أبي الصلت :

خلق البرية من سلالة مُنتنٍ ... وإلى السُّلالة كلّها ستعودُ

و الخلاصة أنه ثمة دلالات لغوية متعددة متداولة آنذاك ، و اجتهادات في تفسير "السلالة " و هي دلالات توافق الاستمرارية الزمنية لفعل التكاثر .

و لنتابع مرحل الخلق كما وردت في كتاب بوكاي:

رابعاً - حضانة البويضة الملقحة

يورد الكتاب : "يتحقق استقرار البويضة في الرحم بنمو الزغابات أي الامتدادات الحقيقية للبويضة التي تتشعب كالجذور في الارض لتمتص من سماكة العضو ما هو

ضروري لنماء البويضة.هذه التخلقات تعلق البويضة في الرحم تعلقا قويا ، و هذه كلها لم نعرفها إلا في الأزمان الحديثة.لقد ذكر هذا التعلق في القرآن خمس مرات، أولا في الآيتين الأوليتين من السورة 96 "اقرأ باسم ربك الذي خلق ،خلق الإنسان من علق" و ترجمة العلق باللغة الفرنسية accrochr quelque chose qui s, أي شيء ما يتعلّق ، و هو معناه الأصلي ، معنى مشتق من الفعل، أما صورة " دم متجمد أو كتلة دم" المكررة في الترجمات فهي غير صحيحة و يجب التنبه إلى ذلك، إذ أن الإنسان لم يمر مطلقا في مرحلة "الدم المتجمد أو كتلة الدم" كما أنه كذلك بالنسبة للترجمة الأخرى المعطاة و هي "الالتصاق"الذي هو أيضا تعبير غير صحيح. و المعنى الأول هو كما ذكرنا "شيء ما يتعلق" يلتقي تماما مع الحقيقة المثبتة في هذه الأيام "16".

التعقيب:

الكلمة الواحدة تحتمل دلالات متعدِّدة، و هذا يتعلق بسياقات استخدامها، فالرحم مثلا تعني القرابة، و تعني رحم المرأة، و كلاهما دلالتان صحيحتان فلا يحق لنا نعت

إحداهما ب "غير صحيحة " دون قرائن من داخل السياق ،و لكي نجزم بأن هذا المعنى صحيح، و هذا المعنى غير صحيح ، فالمرجع في ذلك سياقات النص و كذلك الدلالة المتعارف – التوافقيّة - عليها في اللغة .

لنستقصي دلالات كلمة عَلَقَ في قاموس "لسان العرب"

- (علق) عَلِقَ بالشيءِ عَلَقاً وعَلِقَهُ نَشِب فيه

- وعَلِقَت المرأَة أَي حَبِلَتْ

- العَلَقُ الدم ما كان، وقيل هو الدم الجامد الغليظ، وقيل الجامد قبل أَن ييبس وقيل هو ما اشتدت حمرته والقطعة منه عَلَقة، وفي حديث سَرِيَّةِ بني سُلَيْمٍ فإِذا الطير ترميهم بالعَلَقِ أَي بقطع الدم

- كل دم غليظ عَلَقٌ، والعَلَقُ دود أَسود في الماء معروف، الواحدة عَلَقةٌ ، وعَلِق الدابةُ عَلَقاً تعلَّقَتْ به العَلَقَة ، وقال الجوهري عَلِقَت الدابةُ إِذا شربت الماءَ فعَلِقَت بها العَلَقة

- والعَلَقَةُ دودة في الماء تمصُّ الدم والجمع عَلَق "17"

فالمعنى القريب المتداول هو أن العلق قطعة من الدم الجامد الغليظ " و هو وصف ظاهري"، و الجنين في أطوار تخلقه الأولى يكون وصفه الظاهري شبيه بالعلق،و هذا معروف من

الخبرة الحياتية لمعظم الشعوب و بما هو مواكب زمنيا لعصر النبوة ، و يمكن الاستناد إلى حوادث و ملاحظة حالات الإسقاط المتكررة للجنين غير المكتمل.

و من المعاني التي يذكرها **لسان العرب** أن العرب تقول علقت المرأة بمعنى حبلت. و هو استخدام مجازي لكلمة "علق" مما يدل على أن هكذا استخدام كان وارداً و ذو صلة بالحَبَل

و يذكر ابن حيّان في تفسيره "البحر المحيط" أن خلق الإنسان من عَلَق كان مما يقرُّبه العرب في عصر النبوة : وإنّما ذكر من خلق من علق لأنهم مُقِرّون به - يقصد مشركي قريش - ، ولم يذكر أصلهم آدم ، لأنه ليس متقرراً عند الكفار فيسبق الفرع ، وترك أصل الخلقة تقريباً لأفهماهم"

فدلالة كلمة علق واضحة في العربية و هي متداولة و معروفة ، و تتوافق مع التصور السائد آنذاك عن خلق الإنسان ، و خلق الإنسان من علق يُفهم منه بما أوضحه المفسرون ، و هو وصف مورفولوجي صحيح لإحدى مراحل تخلق الإنسان ، و دلالته كاشتقاق لغوي هي بالفعل من علق - تعلق..الخ.

و لكن استثناء المعنى المتداول و المعروف للعلق من التفسير و حصره ب: شيء ما يتعلّق" هو تعسف من قبل موريس بوكاي.

نحويًّا - الشيء الذي يَتَعَلَّق هو "مُتَعَلِّق" ، وكلمة "علق" لم يجد المفسرون و المعاصرون للنبوة زمنيا صعوبة في فهمها ، و الإشكالية هي محاولة بوكاي تأويل الآيات القرآنية بناء على معنى محدَّد مُسْبَق الصنع و هو المعنى الذي استقرَّت عليه النظرية العلمية الحديثة في علم الأجنة ،و ربط عملية تعشيش البيضة الملقحة في جدار الرحم بتأويل لغوي.

فطالما أن النطفة تستقر في الرحم و تتخلق فهي متعلِّقة به ، و إلا سقطت و لم يُتح فرصة لنمو الجنين و تعلّقه بالرحم . و عندما يفقد الجنين تعلقه سيحدث الإسقاط و الإجهاض، و هذا مما يعرفه عموم الناس بحكم الخبرة الحياتية قديما و حديثاً ، و من التعسف تأويله كسبق أو إعجاز للعلم.

و للمفارقة سأثبت وجهة نظر أخرى - من خارج كتاب بوكاي - تضيف توافقاً مع وصف الآية السابقة لخلق الإنسان بمرحلة العلق " المشتق من الدم الجامد - و شكل دودة العلق" بأنه إعجاز علمي للقرآن الكريم .

" أما إذا أخذنا المعنى الحرفي للعلقة (دودة عالقة) فإننا نجد أن الجنين يفقد شكله المستدير ويستطيل حتى يأخذ شكل الدودة .ثم يبدأ في التغذي من غذاء الأم، مثلما تفعل الدودة العالقة، إذ تتغذى من دماء الكائنات الأخرى، ويحاط الجنين بمائع مخاطي تماماً، مثلما تحاط الدودة بالماء. ويبين اللفظ القرآني "علقة" هذا المعنى بوضوح طبقاً لمظهر وملامح الجنين في هذه المرحلة.وطبقاً لمعنى (دم جامد أو غليظ) للفظ العلقة، نجد أن المظهر الخارجي للجنين وأكياسه يتشابه مع الدم المتخثر الجامد الغليظ لأن القلب الأولي وكيس المشيمة، ومجموعة الأوعية الدموية القلبية تظهر في هذه المرحلة "18"

و ذلك بخلاف وجهة نظر بوكاي التي سبق أن عرضها و التي يوجزها في :أما صورة " دم متجمد أو كتلة دم" المكررة في الترجمات فهي غير صحيحة و يجب التنبه إلى ذلك، إذ أن الإنسان لم يمر مطلقا في مرحلة "الدم المتجمد أو كتلة **الدم**" كما أنه كذلك بالنسبة للترجمة الأخرى المعطاة و هي "الالتصاق"الذي هو أيضا تعبير غير صحيح "19"

لنتابع مرحل الخلق كما وردت في الكتاب

خامساً : تطور الجنين داخل الرحم

يورد الكتاب : إن وصف مراحل تطور الجنين كما هو في القرآن يتجاوب مع كل ما نعرفه اليوم عن ذلك. و هو لا يحتوي أية عبارة ينتقدها العلم الحديث ، ثم إن الجنين بعد "شيء ما يتعلق" و هو التعبير الذي رأينا إلى أي حد هو صحيح، يمر كما يقول القرآن بمرحلة المضغة "مثل اللحم الممضوغ " ثم يبدو الهيكل العظمي مكسوا باللحم "موصوف بكلمة مختلفة عن الأولى و نعني بها اللحم الطري" سورة 23 آية 14 "فخلقنا العلقة مضغة ،فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما" "20" و هذا التفريق بين المضغة و اللحم كتعبيرين يستحق أن يشار إليه. و الجنين هو في البداية كتلة لها بالنسبة للعين المجردة في بعض مراحل نموها ، هيئة المضغة. . و الهيكل العظمي يتطور في حضن هذه الكتلة فيما نسميه" المشيمة" ، و عندما تتكون العظام تنكسي بالكتل العضلية التي ينطبق عليها كلمة اللحم 21"

التعقيب:

❖أولاً - القول أن " الهيكل العظمي يتطور في حضن هذه الكتلة فيما نسميه المشيمة "

هو خطأ علمي ، لا أدري هو هل خطأ في النسخة الفرنسية الأصلية أم هو خطأ ترجمة؟!

فالهيكل العظمي و العضلات تتطور ابتداء من"الوريقة المتوسطة" و القطع البدنية كجزء من كتلة الجنين" ، و ليس كتلة المشيمة ،فللمشيمة وظائف أخرى حياتية متمِّمة للجنين.

و المشيمة تتطور في مرحلة التعشيش ابتداء من الساقطة القاعدية caduque bassilai بقسمها الوالدي ، و تطورها منفصل عن تكون الهيكل العظمي "22"

❖ ثانياً - الفاء تفيد التعقيب و تدل على أن هذا وقع عقب هذا ، و في مثالنا تكون الدلالة: أن خلق العظام قد تم أولا ، و عقبهُ كسوة العظام لحماً ، يعلق البغوي في تفسيره : "**{ فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا } أي ألبسنا** " و بذلك يكون المعنى الحرفي للآية :

المضغة عظام عظام مكسوة باللحم

"ففي نهاية الأسبوع الثاني و بداية الأسبوع الثالث تتمايز المضغة الجنينية إلى ثلاث وريقات:

1 - الوريقة الخارجية ectoderme و يتطور منها فيما بعد الجملة العصبية المركزية و المحيطية، و البشرة الجلدية و ملحقاتها من أظافر و شعر و غدد ثديية ..الخ

2 - الوريقة الوسطىmesoderme و يتطور منها فيما بعد الجهاز الهيكلي الغضاريف و العظام و النسج الضامة، و العضلات الملساء و المخططة و الكلية و المجاري البولية التناسلية و الطحال..الخ

3 - الوريقة الداخلية endoderme و يتطور منها ظهاريّة الأنبوب الهضمي و التنفسي و الظهارية المبطنة للمثانة و الغدة الدرقية و الكبد و البنكرياس..الخ "23 "

فعملية تطور الجنين هذه معقدة، و تمر بمراحل وسيطيّة متعددة ،و يكتمل تشكل أعضاء الجنين في الأسبوع التاسع و لو بشكل غير وظيفي ، و ليست بصيغة "عظام ثم لحم " بالصيغة الحرفية للدلالة، فتشكّل النسيج العظمي و العضلات يتم بشكل متزامن و ليس أولا ثانيا.

"فخلايا النسيج المتوسط الجنيني لها المقدرة على إعطاء خلايا أصلية ليفية أو أصلية عضلية أو أصلية غضروفية أو عظمية "24" و " التعظم يبدأ في العظام الطويلة في حوالي نهاية المرحلة الجنينية، حيث أن نقاط التعظم الأولية تظهر في حوالي الأسبوع 12 أما نقاط التعظم الثانوية فتظهر بعد الولادة "25"

فالعضلات المخططة الهيكلية تشتق من الخلايا العضلية الأصلية المتوسطة المنشأ و في نهاية الشهر الثالث تظهر التخطيطات العرضية المميزة للعضلات المخططة.. و في نهاية الأسبوع الخامس تنقسم عضلية جدار الجسم إلى قسم علوي و قسم سفلي.

سادساً - دراسة مقارنة بين عدة نصوص قرآنية.

تقتضي المنهجية العلمية التطرق إلى كل النصوص القرآنية التي تتناول موضوعة تطور خلق الإنسان و هي التالية :

A - نص سورة المؤمنون

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ

مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (16)

B - نص سورة الحج

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (7)

باستقراء النصين

النص الأول : طين ← نطفة ← علقة ← مضغة عظام ← عظام مكسوة باللحم ← خلقاً آخر

النص الثاني :

تراب ← نطفة ← علقة ← مضغة مخلقة و غير مخلقة ← طفل

في النص الأول كانت أداة العطف : ثم - ثم - الفاء - الفاء - الفاء - ثم

في النص الثاني كانت أداة العطف: ثم - ثم – ثم – ثم

و دلالة ثم هي: تفيد الترتيب و التراخي ،يراخي به ما بعده عما قبله.

أما دلالة الفاء: الفاء تفيد التعقيب،تدل على أن هذا وقع عقب هذا

لاحظ في النص الأول استخدام حرف العطف الفاء على سبيل المثال:

"فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً"

أما في النص الثاني فقد تم استخدام حرف العطف ثم : مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَة "

فالانتقال من مرحلة العلقة إلى المضغة قد تم باستخدام حرفي جر مختلفين في دلالتهما الدقيقة.

مما يجعلنا نذهب إلى أن النصين المذكورين يؤخذان على إجمالهما في التذكير بمعجزة خلق الله للإنسان من دون تفصيل و تحميلهما ما لا يحتملان من تفاصيل .

و لتأكيد ما ذهبنا إليه و بمراجعة النصين نجد:

ينتهي النص الأول : " آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (16)" المقصود هو : تبارك الله أحسن الخالقين ، و كذلك قرينة على وجود البعث و الحساب.

و ينتهي النص الثاني : ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (7) و المقصود: تبارك الله في قدرته، و كذلك قرينة على وجود البعث و الحساب.

C – نص سورة غافر

قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (66) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ

يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" سورة غافر

حيث يتم هنا تجاوز الإشارة إلى مرحلة المضغة على سبيل المثال ، فاختلاف صيغ الكلام عن الخلق و مراحله بين النصوص الثلاثة يتنافى مع كوننا أمام "نص علمي" بل نص مجازي يهتم بمجمل قضية الخلق من ناحية عقائدية.

D- نص سورة القيامة :

(أيحسب الإنسان أن يُترك سدى. ألم يك نطفةً من مني يُمنى ثم كان علقة فخلق فسوى) (القيامة 36 -37).

نفس الملاحظة على النص السابق في سورة غافر.

❖استقراء النصوص القرآنية الأربعة و أخذها على الحرفية - و الخطاب العلمي حرفي بالضرورة - يكون خلق الإنسان من نطفة ، و هذا علميا غير صحيح كون خلقة يتم من اندماج نطفة مع بويضة ، و ثم تكوين بويضة ملقحة.

و هذه قرينة على تهافت دعوى الاعجازيين و إنزال للقرآن الكريم في غير منزله.

و سأعرض هنا تعليقاً – ذو صلة - لكامل نجار يتناول فيه النصوص القرآنية السابقة مع التحفظ على اللغة النافرة التي يستخدمها الكاتب و آراءه الاعتقادية الخاصة ، و لكننا هنا في سياق بحث يحاول ما أمكن الالتزام بالموضوعية و المنهج البحثي "يصر القرآن على الخطأ فيقول (أيحسب الإنسان أن يُترك سدى. ألم يك نطفةً من مني يُمنى ثم كان علقة فخلق فسوى) (القيامة 36 -37). مرة أخرى يتجاهل القرآن دور البويضة التي تكوّن نصف الإنسان ويكتفي بالماء الدافق الذي يراه الناس بالعين المجردة ؟ "ثم يقول (هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفةٍ ثم من علقةٍ ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً) (غافر 67). فبعد خلق آدم من تراب أصبح خلق الإنسان من نطفة أي من المني الذي يتغير إلى علقة. وطبعاً هذا الطرح لا يمكن أن يكون قد أتى من إله عالمٍ لأن المني وحده لا يخلق مضغةً، ولكن لأن محمد كان يرى مني الرجل فقط ، ولم يكن يعرف أن المرأة تفرز البويضة التي تحمل نصف الكر وموسومات التي تكوّن خلايا الجنين كما يحمل الحيوان المنوي النصف الآخر، اعتقد أن العلقة ناتجة من المني فقط.

ويستمر القرآن في نفس الخطأ ، فيقول (والله الذي خلقكم من تراب ثم من نطفةٍ ثم جعلكم أزواجاً) (فاطر 11). ثم يدخل القرآن في تفاصيل أدق، فيقول (لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) (المؤمنون12 - 14). وقد شرحت بإسهاب خطأ هذه الآيات في كتابي "قراءة منهجية للإسلام" وبينت كيف أن العظام لا تُخلق أولاً ثم يكسوها اللحم، بل العكس تماماً يحدث فيتكون اللحم ثم تنبت العظام في داخله"26"

التعقيب :

يمكن الأخذ بنقد كامل نجار عند النظر إلى القرآن الكريم ككتاب علوم و بيولوجيا ،و لكن القرآن الكريم لم يقدِّم نفسه أبداً بهذه الصيغة و هو لا يستوف شروط الكتابة العلمية ، و ذلك ليس عيبا و تقصيرا ، و لكن عند النظر للقرآن الكريم ككتاب عقائدي يعنى بالتوحيد و الهداية و العبرة عندها نكتفي بكون هذه الآيات مجرد تذكير بعظمة الخالق و إمكانية البعث و قيامة الإنسان .

سابعاً - عودة إلى كتاب موريس بوكاي

يورد الكتاب :

- و نعلم أنه خلال هذا التطور الخاص بالجنين تظهر بعض الأجزاء غير المنسجمة تماما مع الذي سيكون، كيان الإنسان ، بينما تبقى أجزاء أخرى منسجمة معه

- أليست كلمة "تخلّق" و هي التي تعني"تكون بانسجام" قد استعملت في الآية 5 من السورة 22 للتعبير عن هذه الظاهرة :" فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة و غير مخلقة لنبين لكم "27"

التعقيب:

❖المعنى الذي يشير اليه بوكاي لكلمة "تَخَلَّق":يتفق مع الملاحظة العملية و تطوّر اكتمال الخلقة الآدمية ، و هذا يتم بعمر ثمان أسابيع حمليّة تقريبا ، حيث يتم الانتقال من مرحلة الحميل إلى مرحلة الجنين ، ويتوافق هذا مع طول للجنين بحدود 2 سم ووزن بحدود 2.5غرام.

❖بمراجعة التفاسير ، نرى أن ابن الجوزي أورد في تفسيره" زاد المسير" خمسة أقوال :

قوله تعالى : { مخلَّقةٍ وغيرِ مخلَّقةٍ } فيه خمسة أقوال .

أحدها - أن المخلَّقة : ما خُلق سويّاً ، وغير المخلَّقة : ما ألقته الأرحام من النطف ، وهو دم قبل أن يكون خَلْقاً ، قاله ابن مسعود .

والثاني - أن المخلَّقة : ما أُكمل خَلْقه بنفخ الروح فيه ، وهو الذي يولَد حيّاً لتمامٍ ، وغير المخلَّقة : ما سقط غير حيٍّ لم يكمل خَلْقُه بنفخ الروح فيه ، هذا معنى قول ابن عباس .

والثالث - أن المخلَّقة : المصوَّرة ، وغير المخلَّقة : غير مصوَّرة ، قاله الحسن .

والرابع - أن المخلَّقة وغير المخلَّقة : السقط ، تارة يسقط نطفة وعلقة ، وتارة قد صُوِّر بعضه ، وتارة قد صُوِّر كلُّه ، قاله السدي .

والخامس - أن المخلَّقة : التامة ، وغير المخلَّقة : السقط ، قاله الفراء ، وابن قتيبة "

❖نتابع مع بوكاي:

"و القرآن يثير أيضا ظهور الأحاسيس و الأوعية من القلب و الرئتين السورة 32 الآية 9" و جعل لكم السمع و الإبصار و الأفئدة "28"

التعقيب:

سياق الآية التي أوردها بوكاي كاملة هو :(الذي أحسن كل شيء خَلَقَه وبدأ خلق الإنسان من طين. ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين. ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون) (السجدة 7 - 9).

فالمُخاطب هو الإنسان ،و الإنسان يسمع و يبصر و له فؤاد "قلب" و كل هذا معروف بحكم البداهة و الخبرة الاعتيادية، و مقام المَقال تذكير الإنسان بنعم اللّٰه عليه من سمع و إبصار و فؤاد، و أن اللّٰه أحسن الخالقين.

و لكن لنقف عند تعبير روحه: كيف يمكن إثباته علميا ، الروح تعبير – لغز - غير مُتَطرَّق ، خارج اطار العلم بالمعنى الخاص ، و كيف نعرف أنها روح اللّٰه ؟!

❖يورد بوكاي:

" يشير إلى التكوين الجنسي في السورة 53 آية 45 -46 و أنه خلق الزوجين الذكر و الأنثى من نطفة إذ تمنى" و التكوين الجنسي مذكور أيضا في السورة 35 آية 11 و السورة 75 آية 39 و كل هذه النصوص القرآنية ينبغي أن

تقارن كما قلنا مع المعلومات المثبتة في هذا العصر و اتفاقها معها واضح "29"

و سأقوم بإثبات الآيات القرآنية التي أشار بوكاي إليها رقمًا :

الآية الأولى: " وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ - فاطر الآية 11

الآية الثانية: " ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى – القيامة 38 - 39

التعقيب:

الإنسان كائن منفصل الجنس، و الجنين الذي يتشكل ابتداء من النطفة إما ذكر و إما أنثى؟

هل في هذا ما يستدعي الوقوف عنده، و قسره في خانة الاتفاق – الإعجاز - العلمي للقرآن الكريم في ضوء المعارف العلمية. ؟! فمقام المقال : تأمل أيها الإنسان كيف خلقك الله ذكرا زوجاً ، أو أنثى متزوِّجة ابتداء من أصل " مَنِيٍ" واحد.

❖**سأقوم باستنتاج فاسد مُجاريا دعوات الاعجازيين و ملتقيّاً "الإشارات العلمية الدقيقة" في القرآن الكريم! و بدون مجاملة** اعتمادا على الدلالة اللغوية المباشرة

الآية التالية: خلق الزوجين الذكر و الأنثى من نطفة إذ تمنى"

-الدلالة اللغوية المباشرة : الآية تخبرنا أن خلق الزوج الذكر و الزوجة الأنثى تم ابتداء من نطفة إذ تمنى ، و النطفة - كما أسلفنا لغة - هي القليل من ماء الرجل.

-المعنى العلمي : الخلق يتم ابتداء من نطفة و بويضة أنثوية لتشكيل بويضة ملقحة تستقر في الرحم إنسان ذكر أو إنسان أنثى

- الاستنتاج : هناك خطأ علمي يتمثَّل في جعل خلق الإنسان من نطفة و ليس من "نطفة مع بويضة لتشكيل البويضة الملقّحة " ، لتصبح الصياغة بدلاً من " من نطفة إذ تمنى" "من نطفة بعد تلقيحها بالبويضة، أو أي تعبير يشير لاشتراك الأنثى الفاعل في عملية الخلق".

مع ملاحظة أنّه ثمة وجهة نظر متداولة في أوساط الاعجازيين تميز بين النطفة و "النطفة الأمشاج" ، حيث ترى أن البويضة

الملقحة = النطفة الأمشاج ، و سأقوم بمناقشة هذا الرأي بشكل مستقل في نهاية الفصل لكونه خارج أطروحات كتاب بوكاي الذي نحن بصدد تناوله الآن.

التعقيب:

تم استخدام تعبير "نطفة إذ تُمْنَى" متوافقا مع المعرفة و الخبرة الحياتية الاعتيادية بما يقره عموم الناس في زمن النبوة، و يبقى هذا صالحا في هذا الزمن كون مقام المقال هو تذكير الإنسان بمعجزة خلقة ابتداء من نطفة ،و عظمة قدرة الله و فضله

و الاستنتاج السابق يثبت لنا كم جنى الاعجازيون و دعاة التفسير العلمي على القرآن الكريم و التعسف الذي يتعاملون به مع القرآن و تحميله مالا يحتمل.فلا يكفي أن ننتقي كلمة أو جملة لتقول أنه ثمة إعجاز بناء على تفسير لغوي يأخذ بعين الاعتبار و بشكل مسبق حقيقة علمية متداولة حاليا ،بل يجب أخذ كل الكلمات و الجمل و سياقاتها ، و كل المعاني اللغوية المحتملة و الاحتكام للمنطق الداخلي للنص القرآني .

ثامناً - هل النطفة الأمشاج هي البويضة الملقحة ؟

أوّلاً -السياق القرآني

وردت كلمة " **نطفة** " لوحدها لتوصيف أصل خلق الإنسان عشر مرات في القرآن الكريم :

- خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (4)النحل
- قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) الكهف
- يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5) الحج
- ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) المؤمنون
- مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19)عبس
- أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (37) القيامة
- مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (46) النجم

- هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (67) غافر

- أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (77) يس - وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (11) فاطر

- وَرَدَ تعبير"**نطفة أمشاج** "مرة واحدة فقط في سورة الإنسان.

" إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) سورة الإنسان و يعلق ابن كثير في تفسيره على هذه الآية:{ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ } أي: أخلاط. و المشج و المشيج : الشيء الخَليط (5) ، بعضه في بعض. قال ابن عباس في قوله: { مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ } يعني: ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا " انتهى

ثانياً - وجهة نظر الاعجازيين.

وجهُ الإعجاز : القرآن الكريم ذكر أن الإنسان مخلوق من "نطفة أمشاج"،أي نطفة مختلطة ، و هي نفسها "البيضة الملقحة " بالمصطلح العلمي ، سأعرض لنصين كعينة لوجهة نظر الاعجازيين.

-النص الأول:

"الإنسانية لم تعرف أن الجنين يتكون من اختلاط نطفة الذكر وبويضة الأنثى إلا في القرن الثامن عشر، ولم يتأكد لها ذلك إلا في بداية القرن العشرين.

بينما نجد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد أكدا بصورة علمية دقيقة أن الإنسان إنما خُلق من نطفة مختلطة سماها "النطفة الأمشاج" فقال تعالى في سورة الإنسان (إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا) (الإنسان:2). وقد أجمع أهل التفسير على أن الأمشاج هي الأخلاط، وهو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة. والحديث الشريف يؤكد هذا عندما أخرج الإمام أحمد في مسنده أن يهودياً مر بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه فقالت له قريش: يا يهودي، إن هذا يزعم أنه نبي فقال: لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبي،

فقال: يا محمد ، مِمَّ يُخلق الإنسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا يهودي، من كلٍّ يخلق: من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة، فقال اليهودي: هكذا كان يقول مَن قبلك" (أي من الأنبياء)."30 "

تعقيب أولي:

هذا النص الإعجازي – في حال صحته - ينقض نظرية الإعجاز ، و يؤكد أن "النطفة الأمشاج" كانت معروفة في زمن سابق لسؤال اليهودي "للنبي الكريم محمد " ؟! و أنها من معارف ذلك الزمان.

-النص الثاني:

"النطفة هي الماء القليل و لو قطرة، و هي تطلق على مني الرجل و مني المرأة ، و في الحديث : من كل يخلق، من نطفة الرجل و نطفة المرأة "رواه مسلم ". و قد سماها المولى نطفة أمشاج. قال تعالى :" إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه "الانسان 2 و تعرف في العلم بالبويضة الملقحة بتطوراتها العديدة " الزيجوت" "31"

ثالثاً - مناقشة وجهة نظر الاعجازيين.

-**السياق العلمي** هو : نطفة مذكرة + بويضة مؤنثة = بويضة ملقحة

و هو واضح و بسيط لا يقبل التأويل.

و كلمات " النطفة " و " البويضة " و " البويضة الملقحة " هي مصطلحات علمية مضبوطة جيدا ،و معرفة تتوافق مع بيولوجيا التكاثر.

-لنبحث عن **السياق القرآني**:

أشارت الآيات القرآنية العشرة التي سبق ذكرها أن خلق الإنسان تم ابتدءا من " نطفة " و قد جاءت هذه الإشارة في سياقات أربعة:

أولا - إشارة عرضية ، أي أن خلق الإنسان كان من نطفة دون تفاصيل أخرى و مثالها:

"خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (4)النحل.

ثانياً : إشارة لمصدرها الذكريّ ، فهي نطفة من المني و مثالها:

" أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (37) القيامة

ثالثاً - إشارة ضمن صيرورة الخلق ، أي النطفة كإحدى مراحل الخلق و مثالها:

" فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَة "

الحج

رابعا - إشارة بصفتها نطفة أمشاج، و مثالها:

"إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) سورة الإنسان

و لنتساءل الآن : اعتمادا على السياق القرآني فقط، حيث أننا نفترض وجود سياق قرآني يوازي السياق العلمي في موضوعة التكاثر البشري، و هذا الافتراض سندعم وجوده مرحليّاً ليتثنى للقارئ لاحقاً التعرف على تعثر الحصول على سياق قرآني يتناول موضوعة التكاثر البشري من وجهة نظر علمية.

و هذا كما ذكرتُ سابقا ليس عيبا أو تقصيرا في القرآن الكريم و لكنه قصور من الاعجازيين و اساءة استخدام للقرآن الكريم .

لنتساءل:

هل النطفة " في القرآن " = النطفة "في العلم"؟

و هل النطفة الأمشاج "في القرآن= البويضة الملقحة "في العلم"؟

-الإجابة على السؤال الأول: هل النطفة " في القرآن " = النطفة "في العلم"؟

دلالة النطفة في القرآن لا تتفق مع ما هو مستقر حاليا بكونها – أي النطفة – حيوانا منويا ، حيث أن توصيف الحيوان المنوي بالنطفة هو توصيف اصطلاحي من المستحيل البحث عنه أو تأصيله قبل اكتشاف الحيوانات المنوية في السائل المنوي من قبل أنتوني فان ليفينهوك 1677 م فالنطفة – في لغة العرب - هي اسم مرادف للمني بالمعنى

وفي الحديث النبوي قال لأَصحابه : هل من وَضوء ؟ فجاء رجل بنُطفة في إدارة؛ أَراد بها ههنا الماء القليل، و به سمي المنيُّ نُطفة لقلته "32"

فتسمية الحيوان المنوي بالنطفة هي تسمية اصطلاحية، و علاقة الدال "النطفة" بالمدلول "الحيوان المنوي" هي علاقة اعتباطية كما معروف في علم اللسانيات ، فنستطيع افتراض أن يطلق واضعو المصطلح "النطفة" - و المترجم أساسا من الانكليزية و الفرنسية – اسماً آخر ليكن X

الاعجازيوون يستخدمون حيلة لغوية توحي بالمماثلة بين دلالة "النطفة" كما وردت في السياق القرآني و هي دلالة متداولة

في لغة العرب المواكبة زمنيا لبعثة "النبي محمد" .و بين دلالتها الحديثة ك" حيوان منوي"

و حتى لو تجاوزنا افتراضاً النقد السابق الذي قدَّمتُه فإن هذا سيوقعنا في إرباكات و تعارض مع الحقائق المثبتة علميا ً.

كيف ذلك؟!

لنفترض أن النطفة في القرآن = النطفة علميا

فعندئذ الآيات القرآنية العشرة تخبرنا أن خلق الإنسان قد تم ابتداء من "النطفة" المذكرة.

و هذا يتنافى مع الحقائق العلمية حول موضوعة التكاثر البشري، فالنطفة مساهمة كشريك في عملية الخلق . و ليس الخلق يتم ابتداءا منها ، أو مرورا بها ، إذا أخذنا بعين الاعتبار مرحلة الخلق من "تراب" و هي فرضية أخرى لسنا في سياق التعرض لها من الناحية العلمية الآن .

-الآيات القرآنية تعرض أن خلق الإنسان قد تم من النطفة ، و النطفة هي نتاج ذكري بقرينة آيتين قرآنيتين سبق الإشارة لهما ، و هذا منافٍ للبرهان المثبت علمياً . و سيكون مادة سهلة للتشكيك في مصداقية وجود سياق علمي في القرآن أو

مادة سهلة للتشكيك في القرآن بحد ذاته إذا أصر الاعجازيون على عدم الفصل بين السياق العلمي و السياق العقائدي.

-أجد من الضروري مناقشة انتقادين شائعين

الانتقاد الأول - أنه قد تم الإشارة إلى أن خلق الإنسان قد تم ابتداء من" نطقة أمشاج" و هي من وجهة نظر الاعجازيين = "البويضة الملقحة"

التعقيب :

وجود الإشارة إلى "النطفة الأمشاج " في موضع واحد من القرآن لا يكفي للزعم أن خلق الإنسان قد تم ابتدءا من "النطفة الأمشاج " كرواية قرآنية ، إذ يجب الإشارة إليها دائما أينما وردت في السياق القرآني، أي استبدال كلمة "نطفة" ب "نطفة أمشاج" و هذا ما لا نجده في النص القرآني،أو افتراض أن "النطفة " = "النطفة الأمشاج " و هذا منافٍ للبرهان فهما تعبيران غير متطابقين.

هل النطفة الأمشاج " في القرآن = البويضة الملقحة " في العلم " ؟

إن فهم دلالة النطفة كحيوان المنوي أو بويضة أنثوية هو مغالطة علمية و لغوية ، و قد سبق تبيان ذلك ، و كذلك توصيف النطفة "القليل من المني " بكونها " نطفة أمشاج " أي نطفة مختلطة مغالطة و قد سبق تبيان ذلك أيضاً.

إنّ صفة الأمشاج تحتمل وجهتين للدلالة ذكرها المفسرون:

-الأولى: **"الأمشاج :** هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة " ابن كثير.

-الثانية : **"هي ألوان النطفة** وقيل : **أخلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء** ، والنطفة أريد بها الجنس " ابن حيّان في البحر المحيط.

و لذلك إنّ الزعم بوجود إشارة قرآنية لخلق الإنسان ابتداء من البويضة الملقحة هو تحميل ما لا يُحْتَمل ،و هو إسقاط تعسفي لنظريات علمية على لغة القرآن الكريم ليس أكثر.

الانتقاد الثاني - و يُعبِّر عنه زغلول نجار"33"مدعَّماً بمروية منسوبة للنبي الكريم محمد " النطفة هي الماء القليل و لو قطرة، و هي تطلق على مني الرجل و مني المرأة. و في الحديث : من كل يخلق، من نطفة الرجل و نطفة المرأة "رواه مسلم".

التعقيب:

إذا كانت النطفة هي الماء القليل و لو قطرة ،فنطفة الرجل"مني الرجل " هي السائل المنوي ذو الكمية القلية و المساهم في عملية الخلق من خلال الحيوان المنوي الذي يقوم بفعل اللقاح.

أما نطفة المرأة "مني المرأة" فهي المفرزات التي يفرزها فرج و مهبل المرأة إبان الإثارة الجنسية ، و هي لا تساهم في عملية الخلق كونها تلعب دورا مساعدا في الاتصال الجنسي.

و أما البويضة الأنثوية – و هي اكتشاف علمي لم يكن متاح حينئذ - فلا تنطبق عليها دلالة نطفة المرأة كونها كائن مجهري يستقر في الرحم قبل اللقاح ، و لم يكن معروفا في زمن بعثة " النبي الكريم محمد " ، و طالما أن الرواية المنسوبة للنبي - على فرض صحتها - لم تستثر فضول مستمعيها آنذاك ، و لم تحرضهم على طرق استفسارات أخرى ، و لم تشكّل حافزا لتكوين فرضية عن الخلق من الناطقين بالعربية و المشتغلين بالتفسير و الطب من المسلمين ، مما يرجح كونها تطرح معاني و دلالات متداولة ليست جديدة.

و تعبير" نطفة المرأة " أو "مني المرأة " لم يرد في النصوص القرآنية الإحدى عشر التي تناولت موضوعة الخلق، و لم يرد أي إشارة إلى دور للمرأة في عملية الخلق مما يؤكد عدم وجود سياق علمي – بالخاصة - لتناول موضوعة الخلق و التكاثر البشري،و كونها وردت في سياق عقائدي غرضه التذكير بعظمة الخالق و المآل الأخروي للإنسان.

الفصل السادس

قراءة نقدية في كتاب طارق الحبيب العلاج النفسي و العلاج بالقرآن

أوّلاً - هل نحن أمام كتاب في علم الطب أم كتاب فقه ؟

إنّ الإجابة على هذا السؤال ضرورية قبل عرض أي تناول نقدي للكتاب "1" ، حيث يجب أن يُلزَم الناس بما لا يلزموا أنفسهم به ، على كل حال هناك مؤشرات قوية على أننا في صدد كتاب في علم الطب منها : أن الكتاب من إصدار:اتحاد الأطباء النفسيين العرب، و كذلك كون مؤلف الكتاب يقدّم نفسه على الغلاف الأخير للكتاب (المؤلف في سطور) : بروفسور و استشاري الطب النفسي - محكم علمي معتمد في المجلة العلمية لمنظمة الصحة العالمية

– له العديد من المؤلفات المعتمدة كمراجع علمية في كليات الطب في جامعات السودان و مصر و الإمارات و السعودية ،و عنوان الكتاب كذلك العلاج النفسي و العلاج بالقرآن ، فالعلاج هو إجراء طبي تال لإجراءات أخرى كالفحص السريري و الاستقصاءات الشعاعية و المخبريّة و من ثم تشخيص المرض ، و كذلك يُثبت الكاتب في خاتمة الكتاب ضمن مصادر البحث خمسة عشر صفحة "الصفحات 423 -437 " من المراجع الانكليزية جلها متخصصة في الطب النفسي.

و لكن بالمقابل الكتاب يصدر عن مرجعية الشريعة الإسلامية – وفق فهم معين لها - كمرجعية شاملة تشمل العلوم و منها الطب ، و لسان حال الكاتب يقول: الإسلام الهي و الطب تجربة بشرية ، و العلم الإلهي أوسع من العلم البشري ،حيث أن العلم الإلهي ثابت بينما العلم البشري متغير ، الكتاب ككل مؤطَّر بضوابط الشريعة الإسلامية - وفق فهم معين لها - حيث جاء العنوان الفرعي للكتاب " رؤية طبية نفسية شرعية"،و يصرح الكاتب في معرض الشكر و التقدير بأن " صاحب الفضيلة معالي الشيخ صالح

بن عبد العزيز آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية و الأوقاف و الدعوة و الإرشاد بالمملكة العربية السعودية الذي رعى جل أبحاثي في العلاج بالقرآن ""2" و يثني الكاتب على ستة شخصيات "أتحفوني جميعا بانتقاداتهم و ملاحظاتهم على هذا الكتاب " ثلاثة منهم يحملون لقب "الشيخ أ . د " و اثنان منهم يحملون لقب "الشيخ " و واحد فقط يحمل لقب "دكتور "3" و نقرأ في مقدمة الكتاب كذلك " أن الحاجة أصبحت ملحة في أن يتعاون علماء الشريعة و المتخصصون من أبناء الأمة في مراجعة تلك الأمور المستجدة و عرضها على ميزان الشرع القويم "4"

و الكاتب يستخدم الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية و الإجماع كأدلة على إثبات وجود مرض معين أو فائدة إجراء علاجي معين، فعند تناول الكاتب لموضوع "مرض صرع الجن " نقرأ " قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله - وجود الجن ثابت بكتاب الله و سنة رسوله و اتفاق سلف الأمة ، و كذلك دخول الجني في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهل السنة .. إلى أن قال : و ليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجني في بدن المصروع و غيره "5" و يورد

الكاتب كذلك " لا أدري ما سبب إصرار البعض على رفض الإيمان بدخول الجن لأبدان الإنس ، و هم في الوقت نفسه يؤمنون بل و يرون أمامهم أن أجراما كثيرة تدخل بدن الإنسان مثل الهواء و الماء و الميكروبات و ألوان الأطعمة المختلفة و تتغلغل في كل خلية من خلاياه "6" و يورد الكاتب في طريقة **العلاج من صرع الجان** : صدق التوجه إلى الله عند كل من المصروع و الرقي -الرقية الشرعية - أمر الجني بالخروج و زجره " و سأثبت ما ذكره الكتاب حول طريقة العلاج الأخيرة:

3 - أمر الجني بالخروج و زجره : مر بنا سلفا عند الحديث عن حقيقة المس و صرع الجن حديث يعلى بن مرة عن النبي ص " اخرج عدو الله أنا رسول الله " قال فبرأ.

و يرى الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله - أن لا يزيد المعالجون بالقرآن في مخاطبتهم على قول النبي ص اخرج عدو الله ""7 " و يثبت الكتاب هامش توثيقي عن الحديث : أخرجه الإمام أحمد 4/ 171,172 " قال الأرنؤوط في تحقيقه لكتاب :" زاد المعاد " 4/ 68 عن هذا الحديث رجاله ثقات.

ثانياً - هل القرآن الكريم علاج – بمعايير علمية تجريبية - للأمراض العضوية و النفسية؟

يطرح الكاتب هذا السؤال في فقرة مستقلة تشغل مساحة "صفحة و ربع الصفحة " من أصل 448 صفحة هي إجمالي عدد صفحات الكتاب، و هذا في الحقيقة سؤال محوري يؤسس لمشروعية وجود "علاج بالقرآن الكريم "أو لا ؟ و بالتالي يؤسس لمشروعية هذا الاتجاه في التأليف و ضمنا الكتاب الذي نحن بصددة الآن.

يورد الكاتب : "هل يمكن إثبات أثر العلاج بالقرآن من خلال البحث التجريبي ؟ في نظري أنه من المتعذر إثبات ذلك بالمعايير المعروفة في البحث التجريبي و ذلك لأن من أصول البحث التجريبي أنه عند دراسة متغير ما variable فإنه يجب تثبيت جميع المتغيرات الأخرى. و لذلك فإنه عند دراسة أثر العلاج بالقرآن "متغير" في نفع مريض ما ، فإن على المريض أن ينقطع عن الدعاء و فعل الصالحات و الصلاة و غيرها من شرائع الدين"متغيرات أخرى " لأنها بذاتها لون من ألوان العلاج كما وردت النصوص بذلك ، و هذا أمر غير مقبول ، لأنه يخرج الإنسان من الإسلام "8"

التعقيب:

❖ثمة إشكالية في اعتماد طريقة للعلاج – أيا كانت الطريقة - من دون الالتزام بقرائن تجريبية تثبت الجدوى و الفائدة منها ، هذا التزام مهني و أخلاقي على المشتغلين بالبحث العلمي ، و الحاملين لألقاب و درجات علمية. إنّ التفسير الذي ساقه الكاتب لعدم اعتماد المنهج العلمي التجريبي هش ، ففي التجارب العلاجية السريرية يتم تثبيت المتغيرات ضمن الحد الممكن و دراسة متغير واحد أو أكثر ،و مع استمرار التجربة و تكرارها و تدقيقها في مراكز متعددة ، يمكن الوصول إلى نتائج ذات موثوقية معينة تسمح بتعميم نتائج هذه التجربة.

❖بداية يمكن أخذ مؤشرات عامة حول جدوى "العلاجات " المستمدة من العقائد الدينية و هي غالبا ما تكون تحصيل حاصل كالدعاء للمريض مثلا أو الصيام ، من خلال المقارنة بين نسبة الإصابة بمرض ما أو شفاء مرض ما في المجتمعات متعددة الأديان المتجاورة جغرافيا ، و بين الأفراد المتفاوتي درجة التديّن في المجتمع الواحد. الكاتب مُطالب بإجراء مثل هذه التجربة و ضمن المعايير العالمية للجودة ، طالما أنه يسوّق

لطريقة علاج غير معتمدة من قبل عموم أهل الاختصاص في الطب النفسي. إنّ تثبيت المتغيرات في أي تجربة علمية هو أمر ممكن ،ضمن حدود معينة ، وبآليات معينة ، و يتطلب في كثير من الأحيان حلول إبداعية من قبل القائمين على التجربة ، و لم يتطور الطب النفسي و علم الاجتماع و علم النفس السريري إلا بعد أن خاض هذه التجربة فأصبح تشخيص التخلف العقلي مثلاً بناء على معايير ، و كذلك تقيم شفاء مريض الاكتئاب النفسي بناء على معايير موضوعية ..الخ فالبحث العلمي هو تحدٍ للباحث ،و على الباحث أن يقبل هذا التحدي الايجابي.

❖سأقدّم مجموعة من الاقتراحات لتثبيت متغيرات تجربة العلاج بالقرآن:

- **متغيّر المرض** : لنقل دارسة فعالية العلاج بالقرآن عند مريض مُشَخَّص له علمياً مثلاً العمى الهستريائي أو الوسواس القهري أو تشنج القولون IBS و قد تقصّدتُ عرض امراضا يلعب العامل النفسي فيها دورا هاما ، و ليس أمراض عضوية صرفة.

- **متغيّر العلاج بالقرآن** : كقراءة صورة الفاتحة كحد أدنى مرة يوميا ،من قبل الأخصائي الاجتماعي في العيادة أو المستشفى،أو قراءتها من قبل أحد أقارب المريض ، وليكن والدته حيث تتوفر عادة النية خالصة لغرض الشفاء ، و يمكن استخدام نموذج الرقية الشرعية الذي أكد عليه الكاتب في فصول متعددة أو غيره.

- **متغيّر العامل الذاتي** : باعتماد شخص ممن يشهد لهم بالصلاح عامة ضمن معايير القبول الاجتماعي ، أو بث صوتي مسجّل لأحد القراء المشهورين،و لا ضرورة لانقطاع المريض عن " عن الدعاء و فعل الصالحات و الصلاة و غيرها من شرائع الدين " لنأخذ عينة أولى مواظبة على الصلاة و ممن يشهد لهم بالصلاح عامة ضمن معايير القبول الاجتماعي ، و بذلك نحيد ما أمكن هذا المتغيّر بجعله مشتركا بين أفراد العينة ، أو نأخذ عينة من المرضى من عقائد و مذاهب مختلفة ، و غير المسلمين للمقارنة .

و تتم مقارنة النتائج بين فئة المشخص لهم المرض **X** المعالجين بالقرآن الكريم و بين الغير معالجين أو المعالجين بوسائل أخرى ، و من الضروري في هذه التجربة الافتراضية أن

نستخدم معايير البحث التجريبي ،مثلا عدم علم المريض بأنه يخضع للتجربة أو أنه من فئة المعالجين بالقرآن أم لا ، و وضع عينة أخرى من المرضى للمقارنة ، و كذلك عدم معرفة المشاركين بالتجربة من المرضى بها ،و عدم معرفة الأطباء أي المرضى معالجين بالقرآن و أيهم لا ما ذكرته هو مجرد اقتراحات ، لتقييم فعالية العلاج بالقرآن ، العلاج بالدعاء و غيرهما.

❖ لكن لو لم يثبت فعالية العلاج بالقرآن الكريم تجريبيا في علاج الأمراض ، هل سيكون هذا انتقاصا من شأن القرآن الكريم ؟!

أقول : القرآن ليس كتاب طب ؟ بل هو كتاب عقيدة و هداية و عبرة ،

و فشل تجربة العلاج بالقرآن ،ليس حُجَّة على القرآن ، و لكنه حُجَّة على من يوظف القرآن في سياق مصالح علمية طبية،و تماشيا مع القاعدة القائلة : البيّنة على المدَّعي ، الأستاذ الدكتور طارق الحبيب مؤلف "كتاب العلاج النفسي و العلاج بالقرآن " مُطالب بتقديم البينة .

❖نتابع ، فقد ورد في الكتاب : إضافة إلى ذلك فإن نفع القرآن في العلاج أمر ثابت بنصوص الكتاب و السنة ، فكيف نسعى لإثبات أمر مطلق قطعي ثابت"العلاج بالقرآن " غير قابل للتغيير من خلال أمر نسبي ظني"البحث التجريبي " و هو الأمر الذي قد يعتريه التغيير ، ثم أيضا كيف نسعى في إثبات ما ورد عن الخالق سبحانه بالنص الصريح من خلال عرضه على نتاج جهود المخلوقين و معاييرهم ، و لذا فلعل الأحرى بالباحث المسلم أن يراجع منهجه التجريبي في مثل هذه المسائل"9"

التعقيب:

العلاج هو جزء من الطب ،و الطب هو علم ، و العلم قرائنه موضوعيّة قابلة للتحقق من قبل عامة الناس بغض النظر عن عقائدهم ، و قرائن العلم مُلزِمَة بغض النظر عن قبولنا بها أو رفضها ، فما دمنا بصدد "علاج يُستخدم على مريض " فنحن مُلْزَمُون بقرائن يشترك في قبولها عامة الناس و عامة أهل الاختصاص و بما لا ينافي التجربة.

و كأمثلة : الأرض تدور حول الشمس

1 +1 =2

العامل المسبب لمرض السل هو عصية كوخ
دواء الديباكين Depakine يفيد في علاج الصرع المعمم و الجزئي الخ .

أما الإيمان - و ضمنا تعبيراته - فهو عقيدة ، و العقائد مُلْزِمَة لمن يؤمن بها و يواليها " من شاء فليؤمن و من شاء فليكفر " ، و الإسلام كعقيدة – و كأمر واقع – هو عقيدة ، يؤمن بها جزء من البشرية ، في الماضي و الحاضر و في المستقبل ، فهل سيأتي يوم يُسْلِمْ فيه جميع سكان الأرض؟!

العلاج أمر إجرائي مفيد في علاج مشكلة "معاناة " مرض ، و قرائنه تجريبية واضحة للعيان و الناس ، فليس انتقاصا لأي علاج مُرشح للاستخدام لتخفيف معاناة البشر أن يكون مشمولاً بضوابط المنهج العلمي التجريبي.

و من وجهة نظر إسلامية ثمة أثر منسوب للنبي الكريم "أنتم أعلم بأمور دنياكم "، و العلاج من أمور الدنيا ، و الرأي الذي يعرضه الكاتب في شمول الدين للعلم مناف للبرهان ، فقرائن العلم قاسم مشترك بين كل أتباع العقائد على هذه

الأرض ، و لا أجد ما يبرّر علمنة العقيدة – ليس المقصود بالعلمنة هنا المصلح السياسي - و أسلمة العلوم .

❖إنّ النصوص القطعية الثابتة المطلقة : ليست سلاحا فاعلاً للدفاع عن الإسلام أو الهجوم على العلوم أو العقائد غير الإسلامية، فكم من الأطباء النفسيين حول العالم يشاركون –الكاتب و هو طبيب نفسي - في كون القرآن و السنة قطعية ثابتة مطلقة ؟!

نحن أمام نصوص يجري التحقق من ثبوتها ضمن الشرط التاريخي و الإنساني ، و ليس خارجه ، و يتم تفسيرها و توظيفها من قبل بشر في سياقات مصالح و صلاحيات متفاوتة. هي نصوص مُلْزِمَة لمن يؤمن بها – و ليس في ذلك انتقاصاً من شأن الإيمان - و برهان صلاحيتها يتم – بتوسّط البشر - ضمن الشرط التاريخي و البشري كما ذكرنا. إنّ مقولة "العلاج بالقرآن كعلاج نفسي " يعرض لمصالح يمكن مقايسة صلاحياتها بقرائن يقبلها عامة أهل الاختصاص في الطب النفسي ، و إن لم تحقق شرط "قرائن يقبلها عامة أهل الاختصاص و من ثم عامة الناس " فهو ليس بعلاج ؟!

ثالثاً : الرقية بالقرآن ، و هل النصوص قطعيّة الدلالة ؟!

يذكر الكتاب كقرائن على مشروعية الرقية بالقرآن الكريم : "أولا :من القرآن الكريم:

1 - قال تعالى " يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ "يونس آية 57

2 - قال تعالى : { وَنُنزلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ } الإسراء آية 82

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - "من " ها هنا لبيان الجنس لا للتبعيض، فان القرآن كله شفاء."الداء و الدواء ص20 "

3 - قال تعالى " قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ " فصلت آية 44

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - أي يهديهم لطريق الرشد و الصراط المستقيم، و يعلمهم من العلوم النافعة ما به تحصل الهداية التامة

و شفاء لهم من الأسقام البدنية و الأسقام القلبية"

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

403/4 "10"

التعقيب :

ليس في الآيات القرآنية الثلاثة ما يرقى إلى درجة قطعي الدلالة ، بل هناك تأويل بعيد للآيات الثلاثة لتلائم وجهة النظر التي يعرضها كتاب "العلاج النفسي و العلاج بالقرآن " فقد ورد في "تفسير الجلالين" على سبيل المثال:

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (57)

{ يا أيها الناس } أي أهل مكة { قَدْ جَآءَتْكُمْ مَّوْعِظَةٌ مّن رَّبِّكُمْ } كتاب فيه ما لكم وما عليكم ، وهو القرآن { وَ شِفَآءٌ } دواء { لِمَا فِى الصدور } من العقائد الفاسدة والشكوك { وَهُدَىً } من الضلال { وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ } به " انتهى الاقتباس"11"

و كذلك ورد في تفسير : "زاد المسير " لابن الجوزي :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (57) . قوله تعالى : { يا أيها

الناس } قال ابن عباس : يعني قريشاً . { قد جاءتكم موعظةٌ } يعني القرآن . { وشفاءٌ لما في الصدور } أي : دواء لداء الجهل . { وهدىً } أي : بيان من الضلالة ." انتهى الاقتباس"12"

فسياق الدالة هو الشفاء من الجهل ..الشرك ..العلل الخُلقية . و لا يوجد ما يقيّدها بشفاء أمراض البدن بالخاصة ،و الشفاء وفق دلالة الآية هو **"لما في الصدور "** و ليس لما في الرقبة أو أو البطن أو المخيخ مثلاً !

و في لغة العرب الصدور تأتي ككناية عن النفس و الداخل و القلب و الباطن، نقول : ملأ الغل صدره ، صدره مهموم..الخ و القلب في لغة العرب تأتي بمعنى الداخل و السريرة . و لو أنّنا جدلاً حملناها على الحرفية : "شفاء لما في الصدور " فهذا يعني شفاء "للقلب و الرئتين و الجنب و المنصف و الأبهر الصدري " فالقرآن ليس بشفاء للسكري أو فصام الشخصية لأنها غير مشمولة بالوصفة القرآنية ؟! و هذا تعسُّفٌ بَيِّن.

رابعاً - كتاب في علم على طريقة الفقهاء!

يفتقر الكتاب إلى التوثيق العلمي و منهج الكتابة العلمية الرصين ، و جاء على طريقة تأليف الفقهاء ، و يمكن تصنيفه ضمن نتاج "العقل البلاغي البياني " ،و ليس العقل "البرهاني العلمي " وفقا لتصنيف محمد عابد الجابري.

❖فمثلاً :"الجن و الشياطين و العين و المس و السحر " هي حقائق علمية كونها مما ورد فيها نص .

و الأدلة التجريبية العلمية : هي آيات قرآنية و أحاديث منسوبة للنبي الكريم و أقوال الصحابة ، و قال ابن تيمية و قال ابن القيم الجوزية و قال الذهبي و قال الشيخ ابن باز و قال ابن العثيمين و قال الشيخ صالح الفوزان ، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية..الخ يمكن تفهُّم ما ورد في كتاب **"الطب النبوي "** لابن القيم الجوزية ضمن شرطه التاريخي و الاجتماعي قبل استقرار مناهج البحث العلمي و التكنولوجيا و الاكتشافات الطبية الكبرى ، و كذلك من حيث أن الرجل فقيه و ليس بطبيب.

❖سأثبت مثالا على ما ذهبتُ إليه حيث يذكر الكتاب طرق علاج السحر و يعدد منها :

3 - عجوة المدينة: ... دليله حديث عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت:..الخ"

و يورد الكتاب أيضاً طرق الوقاية من السحر و يعدد منها :

2 - العجوة:عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه - رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ص "من تصبح بسبع تمرات من تمر العالية لم يضره ذلك اليوم سم و لا سحر " و العالية منطقة بالمدينة المنورة . و في لفظ مسلم ...و في لفظ... قال الخطابي.... و قال النووي... و قال الحافظ ابن حجر...قال ابن القيم .. قال الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله - الصواب أنه علاج مستمر إلى يوم القيامة لإطلاقه في الحديث الشريف..."

و يعلق أ د الحبيب : و الذي يبدو من ظاهر الأحاديث التي أسلفناها أن العجوة تنفع - بإذن الله - في الوقاية من السحر و في علاجه بعد وقوعه لحديث عائشة -رضي الله عنها - أنها قالت :قال رسول الله ص "في عجوة العالية أول البكرة على ريق النفس شفاء من كل سحر أو سم "13"

التعقيب:

ما يقدّمه أد الحبيب في النص أعلاه هو رأي فقهي و ليس طبي ، و قد تعرضنا سابقا للعقبات التي تحول دون إثبات فعالية العلاج بالقرآن تجريبيا ، و ذكر منها صعوبة تثبيت متغيرات التجربة ،أمام أ.د طارق الحبيب و جيوش الباحثين في الاعجاز العلمي و الطب الاسلامي فرصة ذهبية لإثبات إعجازهم تجريبيا في هذا المثال:

العالية :ثابت "منطقة معروفة جغرافيا"

التمر : ثابت

و سنحذف السحر من برنامج التجربة المقترحة لالتباسها

و اليوم :ثابت كذلك "لاحظ ذلك اليوم"

و موعد تناول الدواء التجريبي صباحا :ثابت "لاحظ لفظ الحديث من تصبَّح"

و السم : ثابت فهناك الآلاف المؤلفة من السموم،و حالات التسمم التي تستقبلها مستشفيات المدينة المنورة.

و البرهان على المُدَّعي ، و ثمة مثل شعبي معروف يقول : الماء **يكذب الغطّاس**

الفصل السابع

حجج المعارضين للإعجاز العلمي

و قول على قول.. كارم السيد غنيم

أوّلا - حول النص

عنوان النص موضوع النقد هو "الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بين القبول والمعارضة "1" من إعداد الأستاذ الدكتور كارم السيد غنيم "أستاذ علم الحشرات جامعة الأزهر، أمين عام جمعية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة " المقال هو كبير الحجم نسبيا يعرض فيه الكاتب لمحورين

أساسيين :

- المؤيدون للإعجاز العلمي في القرآن و السنة (فئاتهم - مقتطفات من أقوالهم) - المعارضون للإعجاز العلمي (فئاتهم - مقتطفات من أقوالهم - الردود على اعتراضاتهم) و يذكر الكاتب عشرة اعتراضات على الاعجاز العلمي و يقوم بالرد عليها لتأيد فكرة الاعجاز العلمي في القرآن و السنّة.

❖قمتُ بعرض فقرات من المقال تختص بنقد الكاتب لحجج المعارضين للإعجاز العلمي ، و من ثمّ أوردتُ تعقيبي عليها.

❖ما دواعي اختيار مقال "الإعجاز العلمي للقرآن الكريم بين القبول والمعارضة " دون غيره؟ **إجابتي** إنّ هذا السجال - بالنقاط التي أثارها اللكاتب في مقاله - يتكرر كثيرا ، و يشكّل خطاب إسلامي تقليدي شعبي منتشر في الإعلام المكتوب و المرئي ، و المقال المذكور يتطرق لمعظم الاعتراضات التي يتبنّاها المعارضون للإعجاز العلمي انطلاقا من ذات المرجعية العقدية العقائدية الاسلامية المشتركة مع المؤيدين للإعجاز العلمي ، و قد حاولتُ أن تمثّل الفقرات المختارة أفكار و مواضيع متماسكة متمايزة عن مجاوراتها.

ثانياً -حول طريقة مقاربة النص "2"

❖جاءت مقاربتي للنص على شكل تعقيب نقدي يتناول مصالح كل فقره منه على حده ، و لا أستخدم مفهوم "المصلحة " هنا كنقيض للمبادئ أو مرادف للأنانية ، بل هي مفهوم نسبي ، و كل كينونة أو نص يعرض لمصالح أكثر أو أقل صلاحية من بعضها البعض. ❖التعقيب يتناول عدة محاور و يسعى للإجابة على تساؤلات من قبيل :

-**هل المصالح المعروضة** انغلاقية أم انفتاحية ، هل هي مصالح عزلة أم صراع أم تعاون أم توحيد ؟ في طريقة لتحسس حالة التواصل مع المصالح المعروضة بمقياس عامة الناس.

- **ما هي المرجعيّة** التي تستند إليها المصالح المعروضة ؟ هل هي " مرجعية عقدية عقائدية فئوية "3" تختص بالمؤمنين بها ، أم هي مرجعية "عامة الناس أو عامة أهل الاختصاص" بما يشمل و يلزم الناس جميعهم ؟ و هذا التصنيف على مستوى المرجعيات لمصالح النص يعكس الاختلاف بين المصالح العقائدية و بين المصالح العلمية ، و التمايز بين حقل الدين و حقل العلم.

-هل المصالح المعروضة برهانيّة ، أم أنها منافية للبرهان العلمي الموضوعي ؟ هل تلزم الآخرين و تعرض لازدواجيّة المعايير أم لا ؟

ثالثاً - التطبيق

سوف أقسم النص إلى أربعة عشر فقرة ، الفقرات الأربع الأولى تعرض لفئات المعارضين للإعجاز العلمي و هم ثلاث فئات ، أما الفقرات العشرة التالية فهي تعرض لحجج المعترضين على الاعجاز العلمي و النص يعرض لعشرة منها

الفقرة الأولى:

❖النص : فئات المعارضين، هم فئات ثلاثة ، من حيث الدوافع إلى المعارضة: الفئة الأولى : تخشى على مصداقية القرآن إذا ارتبط تفسيره بالعلوم الكونية وما بها من معلومات متغيرة ، مما ينعكس على استقرار التفسير العلمي للقرآن الكريم ، كما يخشون على تطويع معاني الكلمات ومدلول الآيات بما وصلت إليه العلوم الكونية ، وهو ما يعرف عند المعارضين بـ (لي أعناق الآيات القرآنية) فهم يرفضون الإعجاز العلمي والتفسير العلمي إذن من باب

الحرص على القرآن الكريم ، ونطلق عليهم (فئة المتخوفين) انتهى الاقتباس .

التعقيب :

-المصالح المعروضة في النص تعرض لقرائن مشهورة متكررة ، يقبلها المعارضون للإعجاز العلمي أنفسهم "بدافع الحرص على القرآن ". و المصالح المعروضة تتفهم دوافع ما تصفهم "فئة المتخوفين " لاحظ " تخشى على مصداقية - كما يخشون على - من باب الحرص على القرآن الكريم "،و رغم أن المصالح المعروضة تقدّم نفسها احتوائيا و تتفهم ايجابيا إلى حد ما سبب "رفض الإعجاز العلمي " إلا إنها تعرض كذلك لمصالح صراعية مع فئة المتخوّفين ،لا حظ "يرفضون الإعجاز العلمي - و نطلق عليهم - المعارضين - فئة المتخوّفين"

الفقرة الثانية

النص: والفئة الثانية لا ترى دليلاً على الإعجاز العلمي ولا ترى في كلمة (الكتاب) وكلمة (شيء) الواردتين بالآيات القرآنية دليلاً على عكس ما يراه المؤيدين فعندهم معنى

الكتاب هو (اللوح المحفوظ) أو (أم الكتاب) وتكتفي هذه الفئة بالإعجاز اللغوي والبياني... وتقول بأن القرآن كتاب هداية وتشريع... ونطلق عليهم (فئة المعطلين) انتهى الاقتباس.

التعقيب :

-المصالح المعروضة في النص إشكالية ،فمثلاً " اللوح المحفوظ - أم الكتاب " هي مفاهيم اشكالية غامضة الدلالة تختص بمرجعية العقد الفئوي الاسلامي ، و نلاحظ غلبة المصالح الانغلاقية و مصالح الصراع **" فئة المعطلين - لا ترى – عكس ما يراه المؤيدون ".**

-توصيف النص للفئة الثانية ب **" المعطّلين "** يفترض ضمنا أن الإعجاز العلمي في القرآن حقيقة ، و أن هؤلاء يعطّلون حقيقة مثبتة و ينكرونها.

الفقرة الثالثة

النص : و الفئة الثالثة ، ترفض الإعجاز العلمي بسبب نظرتهم الإلحادية وكفرهم بالقرآن أو بسبب الحسد والحقد على القرآن لتفوقه على سائر الكتب الدينية ،وانفراده بالإعجاز الشامل ومنه الإعجاز العلمي ، ونطلق عليهم (فئة

الجاحدين الحاقدين) " انتهى الاقتباس.

التعقيب :

-المصالح المعروضة في النص انغلاقية تتراوح ما بين العزلة و الصراع ، لاحظ مصالح الصراع مع من تصفهم ب"الجاحدين الحاقدين " و لاحظ كذلك : " **ترفض - كفرهم – الحسد – الحقد – الجاحدين** " ، و يستند النص كذلك لمرجعية عقدية عقائدية فئوية اسلامية وفق منظور معيّن يرى أن القرآن "**يتفوق على سائر الكتب الدينية** .. و "**ينفرد بالإعجاز الشامل** " و من المتوقّع أن تعزل هذه المرجعية من يؤمن بها و يواليها عن بقيّة البشر .

-المصالح المعروضة غير برهانيّة ،و هي تعرض لازدواجية معايير ،فالزعم أن "**القرآن يتفوق على سائر الكتب الدينية** " هو أمر لا يقره عموم البشر ، أو عموم أهل الاختصاص في العقائد و العلم ، و إن كان يحظى بقبول واسع ضمن فئوية المؤمنين به ، و هذا لا يعني أبداً أن القرآن الكريم أقل شأنا من الكتب الأخرى ،و لكن القول بتفوق القرآن الكريم أمر اشكالي خارج اطار الفئوية الاسلامية ،و من الصعب حسمه الآن أو في المستقبل البعيد ،لا بل إنّ هذا الحسم غير

ضروري أبدا ، فالتنوع العقائدي قانون اجتماعي ، و من سنن اللّه في خلقه. و العبارة التالية أيضاً **" أنه ينفرد بالإعجاز الشامل و منه العلمي "** تتطلّب وجود قرائن كافية مستخلصة من دراسة مقارنة بين الكتب الدينية "و هو تعبير يتجاوز الأناجيل و أسفار العهد القديم ليشمل كل دين ،و المصالح المعروضة في النص تلزم الآخرين بوجهة نظرها من خلال توصيفهم إطلاقاً ب **"الجاحدين الحاقدين "**.

– يقر عموم البشر بوجود "من يرفض الإعجاز العلمي بسبب نظرتهم الإلحادية و كفرهم بالقرآن " بمعنى رفضهم للقرآن ككتاب عقيدة من مصدر الهي ،و أمر طبيعي أن من لا يؤمن بوجود إله ، سوف يرفض النظر للقرآن ككتاب من مصدر الهي ، و كتحصيل حاصل سوف يرفض " الإعجاز القرآني " بكل وجوهه من دون الدخول في التفاصيل.

الفقرة الرابعة

النص: وبعد فاننا لا ننزعج من موقف المعارضين للإعجاز العلمي ، كما قلنا من قبل ، وسوف ندير حواراً معهم لنذكر أقوال بعضهم ونرد عليها. وعموماً ، فإننا نحسن الظن بالفئة الأولى ولا نتهمهم ولا نقول لهم : (قولكم حق

أريد به باطل)

وأما الفئة الثانية فنقول لهم : لقد سبقكم من لم يكونوا مقتنعين بالإعجاز العلمي وبعد الدراسة والتأمل و الاطلاع والرجوع إلى المتخصصين في العلوم الكونية أدركوا الصواب واقتنعوا بالإعجاز العلمي ، فسيروا على نهجه لتصلوا إلى ما وصلوا إليه.

وأما الفئة الثالثة فنقول لهم : أعملوا عقولكم وتخلوا عن الاعتراض والعناد وتخلصوا من الحسد والأحقاد وسوف تتجلى لكم الحقيقة وتدركون الصواب ،و تناولوا موضوع الإعجاز العلمي بتفكير علمي مجرد ، كما فعل بعض مشاهير العلماء الغربيين غير المسلمين فأدركوا معجزة القرآن وآمنوا بأنه ليس من صنع البشر وأنه فوق قدرات البشر. " انتهى الاقتباس.

التعقيب :

- المصالح المعروضة تتراوح بين الصراع و التعاون فهي تستخدم أسلوب متصالح و تعطي إشارات انفتاح مع توتّر منخفض في محاولتها لإقناع الخصوم بصوابيّة وجهة نظرها ،لاحظ هذه العبارات : لا ننزعج من موقف المعارضين -

وسوف ندير حواراً معهم - نحسن الظن بالفئة الأولى ولا نتهمهم ". و لكن في العموم يعرض النص لمصالح إشكالية خلافية بالنسبة لعموم الناس حيث تدعو الفئة الثانية و الثالثة إلى مراجعة وجهة نظرهم أسوة ب "مشاهير العلماء الغربيين " لاحظ عبارات "أدركوا الصواب و اقتنعوا - تخلوا عن الاعتراض و العناد - تخلصوا من الحسد و الأحقاد ". -

المصالح المعروضة تقدّم قرينتها على وجود الإعجاز العلمي في حالة الفئة الثانية: وبعد الدراسة والتأمل و الاطلاع والرجوع إلى المتخصصين في العلوم الكونية أدركوا الصواب واقتنعوا بالإعجاز العلمي " و هذا ليس قرينة لكوننا نتكلم عن " مختصين في العلوم الكونية " بصيغة هلامية غير محددة فهؤلاء يقدَّرون ربما بالملايين ، فيجب تحدد نوع التخصص العلمي ، و أخذ رأي عامة أهل الاختصاص في الأمر بغض النظر عن خلفياتهم الثقافية و الدينية ، بعد اطلاعهم على النصوص القرآنية ، و هنا عليهم أن يكونوا أيضا من العارفين باللغة العربية أو يكونوا ممن توفر لديهم ترجمات للقرآن موثقة و المتجردين عن خلفياتهم ، و هي غالبا

إسلامية بحكم معرفتهم باللغة العربية و الجغرافيا...الخ.

-المصالح المعروضة التي يقدّمها النص على وجود الإعجاز العلمي في حال الفئة الثالثة : " أعملوا عقولكم وتخلوا عن الاعتراض والعناد وتخلصوا من الحسد والأحقاد وسوف تتجلى لكم الحقيقة وتدركون الصواب " و هي مصالح ذات توظيف خطابي سجالي عقائدي ،و ليست في سياق توظيف علمي موضوعي .

-بالوقوف عند المصالح المعروضة في " وتناولوا موضوع الإعجاز العلمي بتفكير علمي مجرد ، كما فعل بعض مشاهير العلماء الغربيين غير المسلمين فأدركوا معجزة القرآن وآمنوا بأنه ليس من صنع البشر وأنه فوق قدرات البشر ." فمصالح تعبير "بعض مشاهير العلماء الغربيين غير المسلمين " يفتقد إلى الدقة و التعيين ، و حتى في حال وجودهم هذا لا يكفي لتأكيد المصالح المعروضة في الإعجاز العلمي ، بل يجب أن يشمل ذلك عامة أهل الاختصاص في هذا التخصص العلمي و بما لا ينافي التجربة ، و ليس الاستناد لآراء و إن كانت صادرة عن علماء كبار - و بعد التدقيق في أهليتهم لهذا التوصيف - إلا أنها

يجب أن تخضع لشروط البحث العلمي و التدقيق.

-المصالح المعروضة في حال الفئة الأولى " نحسن الظن بالفئة الأولى ولا نتهمهم ولا نقول لهم : (قولكم حق أُريد به باطل) " فهي تعرض لشبهة ازدواجية معايير ، فمن جهة لا تتّهمهم و من جهة تصفهم ب "قولكم حق أريد به باطل " . لاحظ صيغة المبني للمجهول في الفعل أُريد ، و لاحظ حركة الضمير في العبارة ، فمن هو الذي يزوّر قول الحق ؟!

-المصالح المعروضة في مجمل النص تقدّم جوهر إعجازي ثابت ، و كل من يخالفها فهو : باطل – معاند – حاسد – حاقد – قليل الخبرة و الاطلاع ، مُتّهم ..الخ .

الفقرة الخامسة

النص : ردود على المعترضين :

الاعتراض الأول : ويتمثل في قولهم : القرآن كتاب هداية وتشريع وليس كتاباً للعلوم والمعارف الكونية. كل المشتغلين بدراسة الإعجاز العلمي يؤمنون بأن القرآن الكريم كتاب عقيدة وتربية وتشريع ، وهو بعيد كل البعد عن تناول العلوم بمنهجية التدريس ، ويرون أن الآيات القرآنية في المسائل الكونية إنما جاءت لتلفت النظر إلى ملكوت السموات

والأرض وتدعم الإيمان باللّه المبدع الخالق القادر ، وحيث أنها نزلت بالحق من لدن عليم خبير فلابد أن تكون حاملة لحقائق ، فهي ليست مجرد عبارات إنشائية وصفية تناولت ظاهر الأمور.

التعقيب :

- المصالح المعروضة صراعية مع فئة من المعترضين على الإعجاز العلمي، انغلاقية مع توتر عال، لاحظ : كل المشتغلين - بعيد كل البعد - لابد أن – ليست مجرد ".

-المصالح المعروضة في " وحيث أنها نزلت بالحق من لدن عليم خبير " مستحيلة البرهان بمقاييس علمية أو مقاييس عموم البشر ، هذا مُتفهّم حيث أن المصالح المعروضة هي أصلاً ذات مرجعية عقديه عقائدية فئوية. و لكن المصالح المعروضة تنافي البرهان في : وحيث أنها نزلت بالحق من لدن عليم خبير فلابد أن تكون حاملة لحقائق ، فهي ليست مجرد عبارات إنشائية وصفية تناولت ظاهر الأمور " فإذا سلّمنا كمؤمنين أنّها نزلت بالحق من اللّه تعالى ، فهذا لا يعني بالضرورة أنها تتعرض لحقائق من وجهة نظر علمية ، فقد تكون حقائق "عقائدية و اجتماعية و أخلاقية ..الخ " و

لا يصح تقليل شأن الحقائق من خارج اطار العلم بالخاصّة و وصفها "بمجرد عبارات إنشائية وصفية تتناول ظاهر الأمور ".
– وصف النص للآيات القرآنية بأنّها حاملة ل: حقائق علمية من لدن عليم خبير " و نؤكد هنا على صفة العلميّة المنسوبة للحقائق فهي لا تُأخذ كاستنتاج نظري ، و لكنّ الحكم فيها يعتمد كلّية على عن ما تعرضه هذه الآيات بعد مناقشتها و النظر فيها.

الفقرة السادسة

النص : الاعتراض الثاني : ويتمثل في قولهم : الاهتمام بالإعجاز العلمي يصرف اهتمام الناس بعلوم القرآن التقليدية ، والتفسير العلمي يتعارض مع منهج التفسير .
الإعجاز العلمي لا يخرج عن كونه وجه من وجوه الإعجاز القرآني ، ودراسته تعتبر إضافة إلى علوم القرآن ، والمشتغلون به فريق من العلماء يتعاونون مع سائر المشتغلين بدراسة علوم القرآن ، وكل في مجاله يعمل دون أن يتطاول فريق على فريق ، أو يتعالى حتى لا تتكرر ظاهرة التركيز المعرفي التي اختصت بها وحدة اللغة والبيان مما ترتب عليه حجب سائر وجوه الإعجاز ، ومنها الإعجاز العلمي .أما التفسير العلمي

فلا تعارض بينه وبين التفسير التقليدي ، بل هو إضافة إليه مما يزيد الاتساع في فهم القرآن ، خاصة في الآيات الكونية التي كانت تدخل في دوامة التأويل والمجاز وأحداث الآخرة.... الخ. "انتهى الاقتباس.

التعقيب :

-المصالح المعروضة في النص تراوح بين الصراع و التعاون ، لاحظ المصالح الصراعية مع فئة من المعارضين للإعجاز العلمي : الذين يقولون أن : "الاهتمام بالإعجاز العلمي يصرف اهتمام الناس بعلوم القرآن التقليدية ، والتفسير العلمي يتعارض مع منهج التفسير " لاحظ المصالح الصراعية في العبارة المفتاحية التالية "الاعتراض الثاني ".أما مصالح التعاون فنلمسها كون النص يتفهم ايجابيا وجهة نظر من يرد على اعتراضهم و يحاورهم لاحظ " دراسته تعتبر إضافة إلى علوم القرآن - يتعاونون مع سائر المشتغلين - فلا تعارض بينه وبين التفسير التقليدي ". -

إنّ قول المعارضين للإعجاز العلمي :"الاهتمام بالإعجاز العلمي يصرف اهتمام الناس بعلوم القرآن التقليدية ، والتفسير العلمي يتعارض مع منهج التفسير " ليس دقيقاً ،و العلاقة

بينهما ليست حكرا على صرف الاهتمام ، و ما يعرضه النص في ذلك مقبول بالمجمل. أما مصالح هذه العبارة "**أما التفسير العلمي فلا تعارض بينه وبين التفسير التقليدي** " فهذا يتعلّق بالمقصود بالتفسير العلمي و التفسير التقليدي ، و ما يقرره النص – لاحظ الأسلوب الخبري – في هذه العبارة هو مثار جدل و العلاقة بينهما يجب أخذها على النسبية و الاحتمالية و التعين . – إنّ مصالح عبارة : " **الإعجاز العلمي لا يخرج عن كونه وجه من وجوه الإعجاز القرآني** " هو مقولة خلافية بين المسلمين انفسهم ،فقد وجد العديد من رجال الدين و المفسرين يعارضون الاعجاز العلمي في كونه أحد وجوه الاعجاز القرآني " الامام الشاطبي - رشيد رضا - أمين الخولي محمود شلتوت - عباس محمود العقاد – بنت الشاطئ - د.خالد منتصر – خالص الجلبي ..الخ " ،و برهان مصالح العبارة يجب أن يستند لمرجعية عامة الناس و عامة أهل الاختصاص ،و ليس لمرجعية عقدية عقائدية فئوية.

الفقرة السابعة :

النص : الاعتراض الثالث : ويتمثل في الاتهام بعدم التقيد

بالمفهوم اللغوي الصحيح للنص القرآني ، وإبعاد الكلمات القرآنية عن معانيها فيما يعرف "بلي أعناق الآيات " وهي عبارة يرددها المعارضون ، بل ويكثرون من ترديدها.

والرد عليه : أنه من المعلوم أن هناك قواعد وضوابط ومنهج يجب أن يلتزم به المشتغلون بدراسة الإعجاز العلمي وبالتفسير العلمي للقرآن الكريم ، ومن أهمها : احترام كافة الأمور اللغوية. ومن الضروري أيضاً أن يتعاون علماء الكونيات وعلماء الدين وعلماء اللغة معاً في تلك الدراسات القرآنية وفق منهج الدراسة المتفق عليه. وإذا كان هناك من يخرج عن تلك القواعد والضوابط فليس ذلك حجة على الملتزمين بمنهجية الدراسات القرآنية " انتهى الاقتباس.

❖ **التعقيب :**

-المصالح المعروضة في النص تتراوح بين التوحيد و الصراع ، و جاء الحكم بالتوحيد كونها مما يقبله عامة الناس في ضرورة احترام قواعد اللغة و عدم لوي أعناق الآيات ، و كذلك كون المصالح المعروضة تتفهم إيجابيا دعاوى الاعتراض و تقبل ادعائهم من ناحية الشكل ، لاحظ مصالح : أنه من المعلوم أن هناك قواعد وضوابط ومنهج يجب أن

يلتزم به المشتغلون بدراسة الإعجاز العلمي - وإذا كان هناك من يخرج عن تلك القواعد والضوابط فليس ذلك حجة على الملتزمين بمنهجية الدراسات القرآنية ." و النص كذلك يعرض لمصالح صراعية مع معارضي الإعجاز العلمي لاحظ : الاعتراض الثالث - في الاتهام - بلي أعناق الآيات - يرددها المعارضون -فليس ذلك حجة ".

-المصالح المعروضة تعتمد معايير عامة يقرّها أهل الاختصاص سواء من المعارضين أو المؤيدين للإعجاز العلمي . في ضرورة التقييد بقواعد الدلالة و اللغة و عدم لي عنقها لتوافق رأياً مُسبقاً ، لاحظ مصالح هاتين العبارتين " ومن أهمها : احترام كافة الأمور اللغوية - وإذا كان هناك من يخرج عن تلك القواعد والضوابط فليس ذلك حجة على الملتزمين بمنهجية الدراسات القرآنية ."

الفقرة الثامنة

النص : الاعتراض الرابع ، ويتمثل في الخوف من الربط بين تفسير القرآن وبين المعارف الكونية المتغيرة ، مما يؤثر على مصداقية القرآن . إذا أحسنا الظن بالمتخوفين المعترضين – ولا نقول عن تخوفهم (حق أريد به باطل) ولا نقول بأن ذلك

التخوف ادعاء ماكر مقصود به صرف المسلمين عن جانب هام من جوانب الإعجاز تكشف لهم في عصر التقدم العلمي – سنعتبر التخوف حرصاً منهم على كتاب الله، سوف نرد بموضوعية وعقلانية على قولهم بأن المعارف الكونية – خاصة الفروض والنظريات – قابلة للتغيير، وهناك خطورة على معاني القرآن الكريم وتفسيره من الربط بتلك المتغيرات لأن ذلك سيؤدي إلى تبدل التفسير حسب ما يجد من المعارف العلمية.... ونقول لهم إن المشتغلين بالتفسير العلمي للقرآن الكريم حريصون على الاستعانة بالمعارف المستقرة التي وصلت إلى مرحلة الحقائق والقوانين واليقين أو كانت نظريات راجحة. وعلى فرض التغيير في تلك المعارف العلمية المستخدمة في التفسير ، فلا ضير في ذلك حيث أن الأمر لا يعد أن يكون اجتهاداً في التفسير يمكن تصحيحه بتفسير آخر على ضوء المعارف العلمية. وسنجد أن النص القرآني استوعب تلك الكشوف الجديدة حيث جاءت النصوص بألفاظ جامعة تحيط بكل المعاني الصحيحة في مواقفها التي قد تتابع في ظهورها جيلاً بعد جيل، إما بالإضافة أو الزيادة وإما بالتعديل أو الحذف. واتساع مدلول دلائل الإعجاز

القرآني البياني. علماً بأنه لا يمكن أن يقع ذلك التغيير إلا إذا كان هناك خلل في فهم النص القرآني أو خلل في قطعية العلم. والمشتغلون بعلوم القرآن يعلمون أن تفسير القرآن الكريم هو جهد بشري واجتهاد فكري ، ولهذا نجد المفسرين يختلفون في تفسير بعض النصوص القرآنية بسبب تنوع معاني الكلمات ، ومثال ذلك "البحر المسجور " فمعنى مسجور : مملوء ، كما أن من معانيها الملتهب والاختلاف قد يكون بسبب القواعد النحوية ، ومثال ذلك :] فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين (فمن المفسرين من يعطف (أرجلكم) على (وجوهكم) (وأيدكم) فيرى غسل الرجلين ، ومنهم من يعطف أرجلكم على رؤوسكم فيروا مسح الأرجل... وهناك أسباب كثيرة للاختلاف فيما بين وجهات نظر المفسرين ، وينعكس هذا بوضوح عل التفاسير بحيث تظهر الخلافات فيما بينهم ، وبالرغم من هذا لم توجه الانتقادات إلى المفسرين في اختلافاتهم ولم يطالب أحد بالتوقف عن تفسير الآيات القرآنية.

المفسرون عند تفسير آيات القرآن الكريم الكونية يكتفون

بذكر النص أو يلجئون للتأويل والمجاز ، أو إلى تفسيرها بمعلومات علمية ضحلة ، فإذا جاء المتخصصون في العلوم الكونية وفهموا آيات القرآن على حقيقتها العلمية وفسروها دون تأويل ووضحوا معانيها بما يتناسب مع ثقافات العصر والانسجام الفكري والتحدي العلمي والقبول العقلي وقناعة الإنسان المعاصر الخاضع لسيطرة العلوم الكونية ، هل ينظر إلى التفسير العلمي بعين الريبة وتوجه له الاعتراضات وتثار حوله المخاوف... ولمصلحة من كل هذه المعوقات . نطمئن بأنه لا خوف من تغيير المعلومات الكونية المستخدمة في التفسير العلمي ، ما دام النص القرآني ثابت و محفوظ ، وأي أخطاء في التفسير يجب أن ترد إلى المفسرين ، دون أن يؤثر هذا على مصداقية القرآن الكريم ومرحلية التفسير وتبديله أمر وارد من أعمال البشر ، فليس هناك تفسير مستقر يجمع عليه المسلمون في كل العصور إلا إذا كان قد صدر عن رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا لم يحدث ، فإذا قام اعتراض وأثيرت المخاوف حول التفسير العلمي فليكن كذلك مع كل التفاسير ولتحذف جميعها وهذا أمر غير مقبول ولا معقول !! " انتهى الاقتباس.

❖**التعقيب :**

-المصالح المعروضة تتراوح بين الصراع و التعاون ،فالمصالح المعروضة سجالية مع فئة من المعارضين للإعجاز العلمي لاحظ المصالح الصراعية في العبارات التالية : بالمتخوفين المعترضين - بعين الريبة وتوجه له الاعتراضات وتثار حوله المخاوف... ولمصلحة من كل هذه المعوقات - و هذا أمر غير مقبول..الخ " و رغم هيمنة المصالح الصراعية و لكن نجد في النص حضورا للمصالح التعاون لاحظ الانفتاح النسبي قليل التوتر في العبارات التالية :" إذا أحسنا الظن بالمتخوفين المعترضين - سنعتبر التخوف حرصاً منهم على كتاب الله ، سوف نرد بموضوعية وعقلانية على قولهم " .

– في ما يلي : سنجد أن النص القرآني استوعب تلك الكشوف الجديدة حيث جاءت النصوص بألفاظ جامعة تحيط بكل المعاني الصحيحة " يعرض لمصالح منافية للبرهان ، فالقول أن النص القرآني استوعب كل المعاني الصحيحة للكشوف العلمية ينافي البرهان من عدة وجوه:

<u>أولاً</u> - من ناحية إثبات ذلك بقرائن موضوعية يقبلها عموم الناس و عموم أهل الاختصاص ، مع التأكيد على كلمة "

الصحيحة " و كلمة "كل" و إمكانية التحقق من ذلك.

ثانياً - المعاني الصحيحة للكشوف العلمية يُعبَّر عنها بلغة علمية مضبوطة،و النص القرآني لا يستخدم هذه اللغة العلمية المصطلحية ، و المصالح المعروضة في النص تصفها ب: " ألفاظ جامعة محيطة " أي أنها عمومية مجازية قابلة لفهوم متعددة و هذا يفتح الباب أمام التفسير التلفيقي للنص القرآني طالما أن " المعاني الصحيحة للكشوف العلمية " سابقة لعملية التفسير.

الفقرة التاسعة

النص: الاعتراض الخامس ، ويتمثل في ادعائهم بأنه ليست هناك فائدة من وراء الإعجاز العلمي أو التفسير العلمي.

والرد عليها : هذا اعتراض في غاية السطحية حيث إن دراسة الإعجاز العلمي تتعلق بحقيقة يجب التعرف عليها وتقريرها وإظهارها ، وهذا أمر مطلوب في كافة فروع المعرفة وعلى وجه الخصوص عندما تتعلق بالقرآن الكريم ، ذلك الوحي الإلهي ومعجزة الإسلام... والفوائد من وراء معرفة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم كثيرة ، وخاصة في مجال العقيدة والإيمان ، وفي مجال الدعوة والإقناع في عصر الثقافات

العلمية. أما عن التفسير العلمي للقرآن الكريم ، فهو بلا شك توضيح وبيان لآيات القرآن الكونية ، مما يحقق فهمها على حقيقتها ، بعيداً عن متاهات التأويل و تسطيحات تفسير الآيات الكونية... وذلك يحقق مزيداً من الفهم السليم للقرآن الكريم ، وهو أمر هام ومطلوب.

❖التعقيب :

-جاءت مصالح النص مابين العزلة و الصراع ، فالنص يستند لمرجعية عقدية عقائدية فئوية خاصة بالمسلمين دون غيرهم ، لاحظ : والفوائد من وراء معرفة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم كثيرة ، وخاصة في مجال العقيدة و الإيمان " فهي فوائد تختص بجماعة المؤمنين مما يبرر الحكم بمصالح العزلة. و لكن النص كذلك يعرض لمصالح صراعية مع المعترضين الذين لا يرون فائدة من الإعجاز و التفسير العلمي ، لاحظ : الاعتراض الخامس - في ادعائهم بأنه ليست هناك - اعتراض في غاية السطحية - فهو بلا شك توضيح و بيان ".

– ورد في النص ما يلي : والفوائد من وراء معرفة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم كثيرة ، وخاصة في مجال العقيدة

والإيمان ، وفي مجال الدعوة والإقناع في عصر الثقافات العلمية ." و ورد كذلك : أما عن التفسير العلمي للقرآن الكريم ، فهو بلا شك توضيح وبيان لآيات القرآن الكونية ، مما يحقق فهمها على حقيقتها ، بعيداً عن متاهات التأويل و تسطيحات تفسير الآيات الكونية... وذلك يحقق مزيداً من الفهم السليم للقرآن الكريم ، وهو أمر هام ومطلوب" المصالح المعروضة تفترض ثبوت الاعجاز العلمي في صيغة الجزم " فهو بلا شك " ، و هو أمر اشكالي خلافي لم تورد المصالح المعروضة قرائن ثابتة عليه بمعايير عموم البشر و عموم أهل الاختصاص .ثمّ إن توظيف المصالح العلمية عقائديا وفقا لصيغة "الاعجاز و التفسير العلمي " أمر اشكالي مثلما أنه كان سببا في زيادة يقين و اسلام البعض ، كان كذلك سببا في الارتداد عن الاسلام من قبل آخرين ، و حتى لو فرضنا جدلا أن إسلام أحدهم تم استنادا ل:" الإعجاز العلمي " فهذا ليس " فائدة " من وجهة نظر عموم الناس ، بل هي فائدة من منظور عقدي عقائدي فئوي.

الفقرة العاشرة

❖**النص :** الاعتراض السادس ، ويتمثل في قولهم ليس هناك

دليل على الإعجاز العلمي للقرآن الكريم حيث يحتج بعض المعارضين في معارضتهم بعدم وجود ما يدل على الإعجاز العلمي للقرآن الكريم ، لا عقلاً ولا نقلاً وبأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يذكر شيئاً عن ذلك:

أما الدليل العقلي فهو من الوضوح بحيث لا يخفى على أحد ويتمثل في القرآن الكريم بما اشتمل عليه من الآيات القرآنية الكونية التي تحمل الحقائق والإشارات العلمية غير المسبوقة ، والتي كانت مجهولة وقت نزول القرآن ، وبعد مضي مات السنين - وفي العصر الحديث على وجه التحديد – أمكن لعلماء الكونيات – مسلمين وغير مسلمين – أن يتعرفوا على بعضها ، وأكدوا مطابقة الاكتشافات لها وأعلنوا ذلك في مؤتمرات وندوات عالمية ، وسجلوه في أبحاثهم وأصبح هذا الأمر معروفاً ومستقراً ، وتحررت عنه عشرات الكتب التي تبحث في الإعجاز العلمي ، فهل يحتج المعترضون بعدم وجود دليل عقلي ؟! وهناك

دليل عقلي نقلي من منطلق الإيمان بمعجزة القرآن ، فإذا كان القرآن معجزاً وإعجازه مطلق فلماذا يقصرونه على الإعجاز البياني ، ويحجبون عنه الإعجاز الموضوعي ؟ وإذا

سلموا بالإعجاز الموضوعي ، فلماذا يكون قاصراً على جانب من المعارف دون الأخرى ، ولماذا يحجبون عنه الحقائق المتعلقة بالكونيات ويصرفون عنه جانب الإعجاز العلمي ؟ وعلل في ذلك التسلسل المنطقي ما يشكل دليلاً عقلياً. أما الاحتجاج بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يذكر لصحابته شيئاً عن الإعجاز العلمي فمردود عليه بأنه صلى الله عليه وسلم أكد على معجزة القرآن والصحابة آمنوا بذلك وبأن القرآن مطلق الإعجاز ، ولم يدخلوا في تفاصيل وجوه الإعجاز إلى أن جاء العلماء فيما بعد فقاموا بدراسات تفصيلية للقرآن الكريم ، ومنها وجوه الإعجاز القرآني.
أضف إلى ذلك أنه لم يكن من الحكمة أن يحدث الرسول صلى الله عليه وسلم صحابته عن الإعجاز العلمي ، ولم تكن ثقافتهم تستوعب ذلك بعد ، وكانت المعارف الكونية والحقائق العلمية مجهولة للعالم أجمع في ذاك الزمن ، ولو حدثهم بذلك لتصادم وعقولهم ، وهو الحريص صلوات الله وسلمه عليه على مخاطبة الناس على قدر عقولهم. لهذا ترك الصحابة يفهمون الآيات الكونية الواردة في القرآن الكريم بالمعنى اللغوي وبالمفهوم العام ، تاركاً البيان والوضوح

العلمي والاكتشافات الكونية لتظهر وجه الإعجاز العلمي للقرآن في الزمن المناسب ، وقد تحقق ذلك بعد مرور ما يزيد على ألف عام وصدق الله العظيم القائل في القرآن الكريم : (ولتعلمن نبأه بعد حين) [سورة صاد]" انتهى الاقتباس

التعقيب :

- يعرض النص لمصالح صراعية مع المعترضين على الإعجاز العلمي الذين لا يرون دليلا على الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، لاحظ: الاعتراض السادس - يحتج بعض المعارضين في معارضتهم بعدم وجود - أما الاحتجاج بأن..الخ" -

البرهان على وجود الإعجاز العلمي في الكتب المقدّسة من عدمه يحددّه عموم أهل الاختصاص في العلم و العقائد ، و الإعجاز العلمي مثار جدل كبير بين المسلمين أنفسهم،و المؤتمرات و الندوات العالمية و عشرات الكتب ، ليس برهانا على الإعجاز العلمي ، فهناك بالمقابل هناك كثير من المسلمين و غير المسلمين ينفون الإعجاز العلمي ، و إن كانت وجهة نظرهم أقل حضورا على الصعيد الإعلامي في الثقافة العربية الإسلامية،و قد أغفلت المصالح المعروضة في

النص أعلاه الإشارة إليهم ، و حسمت أمر قضية أقل ما يقال عنها خلافية. لاحظ : أمكن لعلماء الكونيات – مسلمين وغير مسلمين – أن يتعرفوا على بعضها ، وأكدوا مطابقة الاكتشافات لها وأعلنوا ذلك في مؤتمرات وندوات عالمية ، وسجلوه في أبحاثهم وأصبح هذا الأمر معروفاً و مستقراً ، وتحررت عنه عشرات الكتب التي تبحث في الإعجاز العلمي ، فهل يحتج المعترضون بعدم وجود دليل عقلي ؟ ! "

-يعرض النص لمصالح اطلاقية تعوّض عن البرهان العلمي بالبلاغة،لاحظ : أما الدليل العقلي فهو من الوضوح بحيث لا يخفى على أحد " فهي تحسم أمر لم يتم حسمه ، و الإعجاز العلمي ليس واضح و ليس مما يصح وصفه ب " لا يخفى على أحد "؟

- **تعقيبا على ما ورد في النص:** فإذا كان القرآن معجزاً وإعجازه مطلق ،فلماذا يقصرونه على الإعجاز البياني ، ويحجبون عنه الإعجاز الموضوعي ؟ وإذا سلموا بالإعجاز الموضوعي ، فلماذا يكون قاصراً على جانب من المعارف دون الأخرى " نقول إنّ الذي يحدد الاقتصار أو التوسع في

وجه اعجازي دون أخر من المفترض أن يكون هو النص القرآني ذاته و ليس الرغبة ، فليس بالضرورة إذا كان القرآن الكريم معجزا ببيانه أن يكون إعجازه علميا أو عدديا أو يكون معجزاً في الجيولوجيا ؟!

الفقرة الحادية عشر

النص : الاعتراض السابع ، ويتمثل في قولهم إذا كان الإعجاز العلمي للقرآن الكريم قد تكشف لغير المسلمين من علماء الكونيات ، فلماذا لم يؤمن هؤلاء بالإسلام. نرد على ذلك بأن العلماء غير المسلمين الذين تعرفوا على بعض الإشارات الكونية الواردة في القرآن الكريم ودرسوها على ضوء ما لديهم من المعارف العلمية قرروا بأن هذا الذي جاء به القرآن الكريم لا يمكن أن يكون معارف بشرية – وقت نزول القرآن ، وأنه خارج عن القدرات العقلية لمن قال به وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من توقف عند ذلك ولم يربط الإعجاز العلمي بالوحي الإلهي ، لأن عقيدة الإلوهية عندهم غير واردة ، ولم ينتقلوا بهذا اليقين العقلي إلى الاستدلال على الوحي وصدق القرآن والإيمان بالإسلام ، لأن هذه التداعيات الفكرية ليست سهلة وبسيطة بل هي

متشابكة ومعقدة. و الهداية أو الجحود والقبول أو الرفض ، في العقيدة والإيمان بالله تخضع لأمور ترتبط بالوجدان الذي ينجذب نحو الغيبيات ، والأمر أولاً وأخيراً مرده إلى توفيق الله... ولنتذكر قوله سبحانه وتعالى : (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) [سورة القصص] وقوله تعالى : (وجحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً...) [سورة النمل]... ولا ينفي هذا أن هناك من العلماء من أيقن بأن هذه الإشارات العلمية فوق قدرات البشر وآمن بأن القرآن وحي من عند الله سبحانه وتعالى ، وأشهروا إسلامهم ، سواء في مؤتمرات الإعجاز العلمي للقرآن والسنة عبر السنوات الماضية ، أم في غيرها... **التعقيب :**

-جاءت المصالح المعروضة في النص صراعية كونها تلزم الآخرين بمرجعيتها العقدية العقائدية الفئوية وفق فهم معين للإسلام مرتبط بالإعجاز العلمي ، فهي تصفهم ب:" جاحدين - ظالمين - غير مؤهلين " و هي مصالح صراعية مع :" فئة من المعترضين على الإعجاز العلمي " لاحظ المصالح الانغلاقية المترافقة مع التوتر العالي كذلك في :" الاعتراض السابع - لا يمكن أن يكون معارف بشرية - وجحدوا

بها ..الخ" .

-المصالح المعروضة ترى "الإعجاز العلمي في القرآن الكريم "كجوهر و يقين ثابت ملزم للآخرين من مسلمين و غير مسلمين ، و الرافضون له هم " جاحدون ظالمون - لا يملكون الجرأة على اتخاذ القرار الصحيح " .

الفقرة الثانية عشر

❖**النص** : الاعتراض الثامن ، ويتمثل في قولهم إذا كان القرآن الكريم كل هذه الإشارات العلمية ، فلماذا لم يستفد منها المسلمون على مر العصور ؟ نرد على هذا الاعتراض في النقاط الآتية :

1 - إذا كان المسلمون الأوائل قد آمنوا بالإعجاز المطلق للقرآن الكريم ، فقد انصرفوا إلى الإعجاز اللغوي وانشغلوا بدراسته مما جعلهم لا يهتمون بالإعجاز الموضوعي بعامة ، كما اكتفوا بفهم آيات القرآن الكونية فهماً لغوياً يكفيهم فهم المقصود منها كبراهين على قدرة الله سبحانه وتعالى.

2 - الإشارات العلمية بآيات القرآن الكونية ليست من الوضوح بحيث يدرك مدلولاتها العلمية غير المتخصصين في العلوم الكونية الذين لم تتوفر لهم المعارف والحقائق والعلوم.

ولم يكن من السهل على المسلمين الأوائل أن يتعرفوا عليها كإشارات علمية قابلة للبحث والاستقصاء العلمي.

3 - المسار العلمي للتعرف على ما تحمله الإشارات العلمية للقرآن من معارف كونية لا يبدأ من النصوص القرآنية ثم يتجه إلى المعامل للبحث والتجريب ، ولكنه يبدأ من الكشوف الكونية على أيدي العلماء – مسلمين وغير مسلمين – ثم يتجه إلى الآيات القرآنية لتطابقها وتوضحها وتشرحها ، مصداقاً لقوله تعالى : (ولتعلمنّ نبأه بعد حين) [سورة صاد] وتمشياً مع سنن الله سبحانه وتعالى في إظهار آياته الكونية التي يشير إليه قوله سبحانه وتعالى : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق...) [سورة فصلت] فالبحث العلمي يبدأ من الكون المنظور ، ثم يتجه إلى آيات الله المسطورة وهي القرآن الكريم ويشرح معانيها ، فيما يعرف بالتفسير العلمي للقرآن الكريم.

4 - لا بأس – إن أمكن – من السير في الاتجاه العكسي للمسار العلمي ، حيث نبدأ من بعض الإشارات العلمية بالقرآن الكريم. وهذا يحتاج إلى إمكانات بحثية ضخمة ويحتاج إلى قناعة بجدوى ذلك المسار العلمي في الاتجاه

المعاكس ويمكننا أن نسمي ذلك " التطبيق التجريبي للإعجاز العلمي " وأسهل منه في مجال الاكتشافات الكونية ذلك المسار الذي يتحرك من الاكتشافات الكونية ويتجه نحو الإشارات العلمية الواردة في القرآن الكريم لتتجلي وتتكشف الحقائق بالآيات القرآنية. وبهذا نسير أحد المسارين العلميين في خدمة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم الذي يقوم بدوره بدعم الإيمان بمعجزة القرآن ومصداقيته كوحي من الله سبحانه وتعالى نزل على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

التعقيب :

-المصالح التي يعرضها النص جاءت بين العزلة و الصراع ، و قد جاء الحكم بالعزلة كون المصالح المعروضة ذات مرجعية عقدية عقائدية فئوية تخص المسلمين مرجعيّتها القرآن الكريم ، و قد جاءت هذه المصالح من دون قرائن إلزام للآخرين لذلك كان الحكم عليها بمصالح عزلة . والمصالح المعروضة صراعية كذلك مع فئة المعترضين على الإعجاز العلمي ممن يشملهم الاعتراض الثامن لاحظ مصالح : الاعتراض الثامن : ويتمثل في قولهم إذا كان

القرآن الكريم كل هذه الإشارات العلمية ، فلماذا لم يستفد منها المسلمون على مر العصور ؟" .

يورد النص ما يلي :" المسار العلمي للتعرف على ما تحمله الإشارات العلمية للقرآن من معارف كونية لا يبدأ من النصوص القرآنية ثم يتجه إلى المعامل للبحث والتجريب ، ولكنه يبدأ من الكشوف الكونية على أيدي العلماء – مسلمين وغير مسلمين – ثم يتجه إلى الآيات القرآنية لتطابقها وتوضحها وتشرحها ، مصداقاً لقوله تعالى : (ولتعلمنّ نبأه بعد حين) [سورة صاد]".

أقول كيف يكون إعجازا قرآنياً مُلزما للآخرين ، و هو لا ينطلق من دلالة النص القرآني ؟! فإذا انطلق من الكشوف الكونية عندها يكون بمثابة تصنيع للدلالة المطلوبة و المعروفة مُسبقا ، فأية فائدة و أي إعجاز عندئذ ؟!

من صفات المنهج العلمي أن تكون الواقعة قابلة للاختبار و التجريب و متاحة لعموم الناس لمعاينتها ، و تحييد الخلفية الثقافية و النفسية و العقائدية للباحث هو من شروط البحث العلمي . ما يجعل " **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم** " حقيقة مُثبتة علميا هو أن يكون قابلا للتجريب من قبل أيا

كان ،أن يكون مشاعا للناس ، و هذا يقتضي وجود دلالة دقيقة للآيات القرآنية يمكن الانطلاق منها لاختبار صحتها في في الواقع ، هذا هو المسار البرهاني الوحيد الممكن،فالإعجاز العلمي معناه ضمنا إعجاز البشر بالمعارف التي من المفترض أن يكون القرآن الكريم قد سبق بها المعارف العلمية المثبتة حديثا . فالإعجاز العلمي هو سبق تاريخي بالضرورة ، و ماعدا ذلك فهو ليس إعجازا و ليس علما بل تلفيق ليس أكثر .

الفقرة الثالثة عشر

النص : الاعتراض التاسع ، وهو أن القول بالإعجاز العلمي ينقصه شرط التحدي وينقصه أن يكون من جنس ما برز فيه الموجه لهم التحدي.

أما عن القول الأول ، أي مجيء تحديه بالمثلية (فأتوا بسورة من مثله...)[سورة البقرة] فإن الإعجاز العلمي يدخل في المثلية. كما أن المعجزة ليست قائمة على التحدي و المعاجزة فحسب ، بل إنها تتحقق بمجرد تفردها عن المألوف بما يؤكد أنها من عند الله سبحانه وتعالى تأييداً لرسوله صلى الله عليه وسلم... والإعجاز العلمي حقق ذلك الغرض ، خاصة

في القرون التالية لعصر نزول القرآن ، حيث أن القرآن جاء معجزة لكل الناس في كل الأزمان ، والعرب وقت نزول القرآن كان تحديهم بالبلاغة والبيان ، وهذا وجه من وجوه الإعجاز. وفي عصور التقدم في العلوم الكونية ظهر الإعجاز فيما يحمله القرآن من حقائق علمية غير مسبوقة ، فالإعجاز العلمي إذ لم يأت ليتحدى من نزل فيهم القرآن فحسب ، ولكن جاء لتشهد القرون من بعدهم على أنه وحي من عند الله ، وذلك من مقاصد المعجزة كما قلنا. " انتهى الاقتباس

❖التعقيب :

- يعرض النص لمصالح صراعية مع المعترضين على الإعجاز العلمي ممن يشملهم الاعتراض التاسع " الاعتراض التاسع ، وهو أن القول بالإعجاز العلمي ينقصه شرط التحدي وينقصه أن يكون من جنس ما برز فيه الموجه لهم التحدي "

-المصالح التي يعرضها النص حول شرط التحدي كحجة يسوقها المعارضين للإعجاز العلمي صالحة ، فالتحدي المزامن للبعثة النبوية ليس شرطا لإثبات الاعجاز،و لكن التحدّي الحقيقي في الاعجاز العلمي هو اثباته عمليا بمعايير العلم و عموم الناس ، و ليس بالاستناد إلى روايات و حجج

ذات مرجعية عقدية عقائدية فئوية تخص المؤمنين فقط.

-تورد المصالح المعروضة ما يلي : وفي عصور التقدم في العلوم الكونية ظهر الإعجاز فيما يحمله القرآن من حقائق علمية غير مسبوقة " و هذا القول ليس بحجة أو برهان ، بل هو جملة خبرية تؤكد لفظيا دعاواها ، تفتقر للقرائن و البرهان.

الفقرة الرابعة عشر

❖النص :

الاعتراض العاشر، يتمثل في قولهم المعارف الكونية الواردة بالقرآن هي من قبيل ذكر الظواهر الكونية التي يعرفها عامة الناس – كتعاقب الليل والنهار وحركة الشمس – وليس في ذلك إعجاز علمي. المعارف الواردة بالقرآن الكريم عن الظواهر الكونية تختلف تماماً عن تلك التي يعرفها عامة الناس بالفطرة ، والتي هي من قبيل المعارف الظاهرية. وعلى سبيل المثال ، يعرف الناس ظاهرة الليل والنهار و تعاقبهما ، ولكن القرآن عندما يتناول هذه الظاهرة المألوفة للناس جميعاً فإنه يتحدث عنها بدقة علمية مستخدماً كلمات تكمن فيها الإشارات العلمية التي تكون مجهولة حتى

للمتخصصين قبل اكتشافها. قال الله سبحانه وتعالى في شأن تعاقب الليل والنهار : (يكوّر الليل على النهار ويكوّر النهار على الليل) [سورة الزمر] وقال تعالى : (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون...) [سورة يس] وقال تعالى : (تولج الليل في النهار و تولج النهار في الليل...) [سورة آل عمران]

فالتكوير تعبير عن التفاف الليل على النهار والتفاف النهار على الليل في تعاقبهما. وفي ذلك إشارة علمية إلى كروية الأرض ، وهذا ما فهمه العلماء من هذه الآية... و(نسلخ) وصف لتعاقب الليل والنهار بانتزاع النهار من الليل ، وقد شاهد هذا المنظر في الواقع ، رواد الفضاء عندما نظروا إلى الأرض وإلى الليل والنهار. ومثال آخر للمألوف من الظواهر الكونية وهو عن حركة الشمس الظاهرية ، فالناس يدركون هذه الظاهرة منذ أن وجدوا ، ولكن القرآن الكريم يصف حركة حقيقة للشمس في قول الله تعالى : (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) [سورة يس] فالفعل (تجري) لا يدل على الحركة الظاهرية التي يراها الناس ، وهي شروق الشمس وغروبها ، بل هو

يدل حركة حقيقة عظيمة المعدل تستق تعبير (الجري)، وهذا ما توصل إليه العلماء في عصرنا الحاضر. ونلفت نظر المعارضين إلى ذلك التفاوت بين معارف العامة للظواهر الكونية وبين حديث القرآن عنها ، حتى يدركوا مفهوم الإعجاز العلمي والإشارات الكونية بالقرآن الكريم. وما ذكرناه من أمثلة إنما هو عن الظواهر الكونية المألوفة للعامة ، ولكن هناك الكثير والكثير بالقرآن الكريم عن المعارف الكونية التي يجهلها المتخصصون وجاءت كإشارات علمية بآيات القرآن الكريم ، فليعلم المعارضون ذلك جيداً...!! " انتهى الاقتباس

❖**التعقيب :**

-المصالح المعروضة تتراوح بين العزلة و الصراع ، و قد جاء الحكم بمصالح العزلة كون المصالح المعروضة ذات مرجعية عقدية عقائدية فئوية مرجعيّتها القرآن الكريم و تخص المسلمين ، و من دون قرائن الزام صريحة للآخرين بهذه المرجعية.و يعرض النص كذلك لمصالح صراع مع المعترضين على الإعجاز العلمي ممن يشملهم الاعتراض العاشر "الاعتراض العاشر : يتمثل في قولهم المعارف الكونية الواردة بالقرآن هي من قبيل ذكر الظواهر الكونية التي

يعرفها عامة الناس – كتعاقب الليل والنهار وحركة الشمس -وليس في ذلك إعجاز علمي"

–يعرض النص لمصالح متناقضة مع سياقها ،لنلاحظ مثلا : ولكن القرآن عندما يتناول هذه الظاهرة المألوفة للناس جميعاً ، فإنه يتحدث عنها بدقة علمية مستخدماً كلمات تكمن فيها الإشارات العلمية التي تكون مجهولة حتى للمتخصصين قبل اكتشافها ."

كيف يتحدّث القرآن عن ظواهر طبيعية بدقة علمية ،بدون استخدام لغة علمية مصطلحية دقيقة الدلالة. و كيف تكون الدقة العلمية بوجود فقط "**إشارات** " – و ليس تصريحات - مجهولة حتى للمختصين " **قبل اكتشافها** "!

فاللغة تواصل وقد ورد وصف القرآن الكريم "بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ " فكيف يكون لسانا عربيا مبينا ،و كيف تصفه المصالح المعروضة بالدقة العلمية :و قد كانت دلالته مجهولة عصيَّة حتى على المتخصصين في القرآن و اللغة و علم الفلك طوال أكثر من ألف عام !

-يعرض النص لما يلي : ومثال آخر للمألوف من الظواهر الكونية وهو عن حركة الشمس الظاهرية ، فالناس

يدركون هذه الظاهرة منذ أن وجدوا ، ولكن القرآن الكريم يصف حركة حقيقة للشمس في قول الله تعالى : (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) [سورة يس]. فالفعل (تجري) لا يدل على الحركة الظاهرية التي يراها الناس ، وهي شروق الشمس و غروبها ، بل هو يدل حركة حقيقة عظيمة المعدل تستق تعبير (الجري)، وهذا ما توصل إليه العلماء في عصرنا الحاضر ."

و كتعقيب على ذلك نقول : المصالح التي يعرضها النص السابق للدكتور كارم السيد غنيم يضيف تفصيلات و معلومات جديدة لم ترد في الآية القرآنية أصلاً ،و هي :

1 - التمييز بين الحركة الظاهرية و الحركة الحقيقيّة للشمس .

2 - إضافة توصيف " **حركة حقيقة عظيمة المعدّل** "

3 - لا تخبرنا النص ما المقصود ب:" **وهذا ما توصل إليه العلماء في عصرنا الحاضر** "

فالمصالح المعروضة في الآية القرآنية تكتفي بتعبير "**تجري إلى مستقر** ". و هذا يمكن تأويله باتجاهات متعددة قريبة أو بعيدة ، ممكنة أو متعسّفة ،تبعا للقارئ و لعوامل كثيرة

أخرى. و الجري ليس بالضرورة أن يكون لحركة عظيمة المعدّل ، ففي الرياضة نستخدم تعبير سباق الجري لمسافة 100 متر مثلا! و التفسيرات التي يسوقها المفسرون و المنسوبة للنبي الكريم قد تعطي دلالات معاكسة لما يقوله الاعجازيون منها: عن أبي ذر رضي الله عنه قال "كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس فقال يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى "والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ""4" أو كما ورد في آية قرآنية أخرى "فلما بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة " الكهف الآية 86 و وفقا لتفسير الطبري "تغرب في عين ماء حارة " "5" و وفقاً للبعض فقد تكون العين الحمئة هي المقصود بالمستقر!

-**يورد النص ما يلي** : المعارف الواردة بالقرآن الكريم عن الظواهر الكونية تختلف تماماً عن تلك التي يعرفها عامة الناس بالفطرة ، والتي هي من قبيل المعارف الظاهرية "

و كتعقيب على ذلك نقول : كيف تختلف تماما عن معارف

الناس بالفطرة ،و لم يتم معرفة هذا الاختلاف "التام " من قبل العرب العارفين باللسان ،و لم يكن حافزا لهم على كشف هذا الاختلاف التام أو الاحساس به!

-**مثال الليل و النهار** الورد في الآيات المستشهد بها ، جاء في صيغة مجازية و بلاغية ،تتنافى مع ضبط المصالح العلمية ، يورد الكاتب : فالتكوير تعبير عن التفاف الليل على النهار والتفاف النهار على الليل في تعاقبهما. وفي ذلك إشارة علمية إلى كروية الأرض ، وهذا ما فهمه العلماء من هذه الآية..." و كتعقيب على ذلك نقول :

-لم يرد توصيف الأرض بالكروية أو الكرة في القرآن الكريم ، و هذا ما ينقض التأويل السابق للآية القرآنية ، رغم أن كلمة الأرض ، و كلمة كرة و كروية عربيتان واضحتا الدلالة مستخدمتان قديما و حديثا ، و رغم أنه حتى قبل البعثة النبوية وجد علماء من أهل الاختصاص عند الإغريق مثلا من قال و أثبت كروية الأرض " إراتوستينس المتوفى 194 ق.م ""6" فهل عقول الناس لا تحتمل مثل هذه "المعلومة " حتّى ترد في القرآن الكريم صراحة و ينتهي الجدال في ذلك من وجهة نظر عقائدية و إلى الأبد! و لكن

حتى لو ورد تعبير"كروية الأرض " في القرآن الكريم فذلك ليس بحجَّة في حقل العلم ، لكونه جاء بمعزل عن البراهين الملزمة لعموم الناس و أهل الاختصاص في علم الأرض و الفلك ، و كما أشرنا هذه ليست وظيفة القرآن الكريم فهو ليس بكتاب متخصص في علوم الأرض و الفلك.

إن البحث في شكل الأرض كما تناولها السياق القرآني يقتضي من الباحث الجاد مناقشة كل الآيات القرآنية التي تشير إلى هذا الموضوع ، فهناك آيات قرآنية يرد فيها أوصاف أخرى للأرض منها " جعل لكم الارض فراشاً - و هو الذي مدّ الارض - الذي جعل لكم الارض مهادا - أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها ..الخ " و الدلالات السابقة تميل إلى وصف الأرض بالجسم المسطّح و ليس الكروي " فراش - مد – مهاد - ننقصها من أطرافها " و هذا يناسب حال الخطاب القرآني و الحث عن التأمل و التفكر العياني القريب للبشر بعامتهم ، و لكي لا نصل إلى نتائج مناقضة لفرضية الاعجازيين ، نتائج قد تشكك المؤمنين في القرآن الكريم ،أرى أن ننأى بالقرآن الكريم عن هذا المقاربات التفسيرية على

الفصل الثامن

سياقات ظاهرة الإعجاز العلمي

في الفصول السابقة للكتاب كان اهتمامنا حول تقديم نماذج تفصيلية و عملية لكتابات الاعجازيين و مناقشتها ،و لكن الاعجاز العلمي لا يشكّل ظاهرة مستقلة عن سياقات و وجوده ، فهناك أبعاد مختلفة لهذه الظاهرة عقائدية و علمية و اجتماعية و اقتصادية و حضارية ..الخ و سنحاول عرض بعض هذه السياقات ، للوقوف على حجم و تأثير و تعالقات هذه الظاهرة

السياق الأول:

الاعجاز العلمي في القرآن الكريم ليس بظاهرة مستقلة ، بل هو جزء من دعاوى الإعجاز العلمي في كتب دينية أخرى

كالإعجاز العلمي في الاناجيل عند المسيحيين و الاعجاز العلمي في أسفار العهد القديم عند اليهود ..الخ و يجب النظر إليه في سياق دعاوى العلميَّة التي ينسبها أتباع عقيدة معينة إلى عقيدتهم دون غيرها ، فثمة حالة قانونية – لا تخص الإسلام فقط - تربط العلاقة بين إحدى طرائق تشكُّل العلاقة بين العقيدة و العلم ، و هي استناد العقيدة في شرعيتها إلى العلم ، بدلاً من استنادها إلى نفسها كإجابة عن أسئلة ميتافيزيقية و تلبية لحاجات نفسية و صلاحيات اجتماعية مشروعة.

السياق الثاني:

في العصور القديمة و الوسطى كان الدين يلعب دوراً مهيمناً في البناء المعرفي للإنسان، و يلعب دوراً مهيمناً اجتماعيا و سياسيا أكثر مما هو الآن عموماً، فمعظم الدول التي قامت آنذاك هي ذات مشروعية دينية قبل تبلور مفهوم الدولة القومية و الدولة الديمقراطية الحديثة، و قد التبس مفهوم العلم آنذاك بعلوم الدين و الفلسفة، و لم تكن العلوم قد أسِّسَتْ كحقول منفصلة محكومة بالمنهج العلمي التجريبي. في تلك العصور كان الدين مهيمنا على العلم ، و لم يحقِّق

العلم – لظروف موضوعية - حضوراً قوياً وازناً يستلزم تغيير في أنماط عيش البشر و العلاقات الاجتماعية ، و لذلك لم يكن ثمة مبرّر للتأكيد على الإعجاز العلمي لا في القرآن الكريم و لا في غيره من الكتب المقدسة. و لكن مع تقدّم العلم و المنهج العلمي و التطور النوعي الذي حدث في مسيرة العلم ابتداء من القرن السابع عشر في أوربا و الذي انتشر عبر العالم ، وجدت القائمين على الأديان نفسهم في وضع لم تعتادوا عليه ، و بدا كأن العلم يسحب من تحتهم ا البساط و يتدخّل في قضايا كانت من صلب اهتمامات الأديان كأصل الإنسان و نشوء الكون و المرويات التاريخية ..الخ ، و حيال ذلك نجد ثلاثة مواقف للقائمين بشؤون الدين و التقديس:

الموقف الأول - رفض الدين للمعرفة العلمية و محاربتها و اتهام أصحابها بالكفر و الهرطقة، كتكفير من قال بكروية الأرض و دورانها، أو الموقف من الداروانيّة..الخ.

الموقف الثاني - المزاودة على العلم ، و الادعاء بأن ما يقدّمه العلم من حقائق موجود بشكل ضمني في الكتب المقدّسة ، و لم يشأ الله إظهاره للمؤمنين كونهم لم يكونوا مهيئّين

لذلك، و الآن جاء الوقت المناسب لإظهار الإعجاز العلمي في الكتب المقدّسة.

الموقف الثالث - و هو الفصل بين حقل الدين و حقل العلم ، و هذا سيستدعي تعديلات في فهم الدين و تعزيز طرائق تشكل جديدة للدين ، تُهَيِّؤُهُ لهذا الدور . فبرهان الدين - تبعا لهذا الموقف - ليس في علميَّته ، حيث أنّ الدين يؤكد على البعد الجوّاني و القيمي للإنسان ، و برهانه هو صلاحيَّته و الارتقاء بحيوية الفرد و الجماعة المؤمنة ، و هذا الفهم للدين لا يتم بناء على قراءة حرفيّة النصوص ، أو بناء على قراءة تبجيليّة تقدّس التراث الديني ككل، و لكنّه يرتبط بسياقات تاريخية متغيّره جعلته ممكنا و ضروريا ، ليس لجماعة المؤمنين فقط ، و لكنه ضروري للمجتمع بكل أطيافه، فالدين – و هذا أكثر إلحاحاً في حالة الإسلام – قضية لا تخص المؤمنين بها فقط ، بل هو قضية تحدي تاريخي و حضاري لمجتمعات و دول و أمم بأسرها.

السياق الثالث:

الإعجاز العلمي في القرآن هو جزء من تصوّر جوهراني للإسلام ، ينتقل بالإسلام من عقد فتوي يلزم الموالين له و

جماعة المؤمنين ، إلى مشروعية مُلْزِمَة - بقوة إلزام العلم - للبشر كل البشر . فالإعجاز العلمي هو قرينة إلزام بغض النظر عن التصريح بذلك أو لا من قبل مُرَوِّجيه ، و بما قد يعطي اشارات عنصرية و تسويقها بلبوس ديني علمي.

السياق الرابع:

إمكانية توظيف مصالح الإعجاز العلمي للقرآن من قبل المسلمين، و الإعجاز العلمي للكتاب المقدس من قبل المسيحيين..الخ في صراعات ذات بُعْد عقائدي مُوَظَّف سياسيا. ففي خطابات الاعجازيين من مسلمين و مسيحيين ، هناك حضور للآخر العدو بشكل كبير ، و هذه الإمكانية للتوظيف التبشيري و الصراعي تجعل من الصعوبة إقناع المؤمنين بخطل الإعجاز العلمي، و سيُنظر له على نطاق واسع بأنه انحياز لصالح الأعداء المخالفين من " ملحدين أو المؤمنين بعقائد أخرى"

السياق الخامس:

لا يمكن فصل ازدهار ظاهرة الإعجاز العلمي عن السياقات الاقتصادية و السياسية و التكنولوجية المعاصرة.

-**اقتصاديا** :الطفرة النفطية في دول الخليج العربي و دورها في توظيف رأس مال "دعوي تبشيري"

-**سياسيا** : الصراع السياسي مع قوى الهيمنة الغربية ، و زيادة الطلب على ايديلوجيا إسلامية " صلبة " جهادية تتصدَّى "للغزو الفكري"

-**تكنولوجيا** : ثورة المعلومات و انتشار الفضائيات و الإنترنت و تنامي الطلب على مادة إعلامية – إسلامية - مرغوبة جماهيرياً ، و اقتراب الخطاب الإعلامي من خطاب المجتمع كما أو يرغب به.

السياق السادس:

اللا جدوى العلمية و الاقتصادية للإعجاز العلمي ، فلم نجد اكتشافات أو اختراعات استُلهِمت من نصوص مقدّسة، و لم نجد حلولا لمشاكل عملية ، أو تطويرا لثروات و موارد اقتصادية استلهاما من نصوص مقدسة ، و لكن بالمقابل نجد جيشاً من المشتغلين و المنتفعين ماديا و معنوياً بالإعجاز العلمي ، و نرى مؤسسات وهيئات ترعى الإعجاز العلمي ممولة من التبرعات الخيرية أو في أحيان مدعومة حكوميا

،أليس من الأجدى صرف هذه النفقات و الجهد على التعليم و الصحة و تطوير البنى التحتية و هيئات الاغاثة ؟!

لدينا الكثير من "الباحثين " في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ،و القليل من المشتغلين بالبحث العلمي

الدراسات المنشورة بالعربية في موضوع الإعجاز العلمي تقدّر بالآلاف ، أما الدراسات الجادة و المبتكرة المنشورة في موضوعات علمية فقليل القليل

أي فصام و اعتلال هذا ؟!

سهل تهامة – ك2 – 2013 م

و في النهاية لا يسعني سوى تذكّر هذه العبارات للمفكر الاسلامي **جودت سعيد:**

التاريخ سيذهب بالزبد جفاء، فإذا كنتُ الزبد سأذهب غير مأسوفٍ عليَّ لأنّي أوقنُ أنَّ ماينفع هو الذي سيبقى مهما تأخر، و التاريخ له أمثلة تفقأ العين،حيث برِّئ جاليلوا من الهرطقة بعد نحو أربع مئة عام، و ذهب الزبد جفاء"

هوامش الكتاب

❖هوامش الفصل الأول :

"1":الإتقان في علوم القرآن – السيوطي - الموسوعة الشاملة – الإصدار الالكتروني الثاني - ص 396

"2": الإتقان في علوم القرآن – السيوطي - مرجع سابق – ص 369

"3": إعجاز القرآن –الباقلاني - الموسوعة الالكترونية – مقدّمة أحمد صقر للكتاب - ص7 -8 . و يورد الباقلاني النص التالي: "فقد ذهب النظام - من بينهم - إلى أن القرآن نفسه غير معجز، و إنما كان إعجازه بالصرفة ، وقال " ان اللّه ما أنزل القرآن ليكون حجة على النبوة ، بل هو كسائر الكتب المنزلة لبيان الأحكام من الحلال والحرام.والعرب إنما يعارضوه ، لان اللّه تعالى صرفهم عن ذلك ، وسلب علومهم به وذهب هشام الفوطى، وعباد بن سليمان إلى أن القرآن لم يجعل علما للنبى وهو عرض من الأعراض، و الأعراض لا يدل شئ منها على اللّه ولا على نبوة النبي .

"4" الإتقان في علوم القرآن – مرجع سابق – ص 371

"5": إعجاز القرآن – الباقلاني - مرجع سابق - مقدّمة أحمد صقر للكتاب ص 10

"6" : إعجاز القرآن –الباقلاني - مرجع سابق - ص 11

"7" : موقع الإسلام ويب - موسوعة الفتاوى - عنوان الفتوى: إعجاز القرآن ..و معناه..أنواعه ووجوهه - تاريخ الفتوى 27 -1 -2003 .
http://www.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=27843

"8": إعجاز القرآن – الباقلاني - مرجع سابق - ص 11

"9" القرآن وإعجازه العلمي - محمد إسماعيل إبراهيم - الإصدار الكتروني الموسوعة الشاملة - ص 25

❖هوامش الفصل الثاني:

"1" الموافقات في أصول الشريعة ، أبي إسحاق الشاطبي المنوفي 790 هجري ، دار الفكر العربي ، ص 53

"2" الموافقات في أصول الشريعة ، مرجع سابق ، ص 46

"3" يورد أبو حامد الغزالي : "و بالجملة العلوم كلها داخلة في أفعال الله وصفاته ، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته ، وهذه العلوم لا نهاية لها ، بل كل ما أشكل فيه النظار في النظريات و المعقولات ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه ، يختص أهل الفهم بدركها. " احياء علوم الدين - أبو حامد الغزالي ، الباب الرابع ، في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل - دار الشعب ، القاهرة 2005 م ، ص 523

❖هوامش الفصل الثالث:

"1" موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن و السنة – آيات الله في الانسان ، محمد راتب النابلسي ، دمشق 2004 م ، دار المكتبي ط1

"2"موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ، ص 8

"3" موسوعة الاعجاز العلمي ، مرجع سابق،ص 9 .

"4" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ، ص9.

"5" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ،ص9.

"6" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ، ص9

"7" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ، ص10

"8" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ، ص11

"9" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ، ص11 .

"10" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ، ص11

"11" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ، ص12

"12" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ،ص13

"13" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ،ص16

"14" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ،ص 19

"15" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ، ص 19

"16" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ، ص23

"17" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ، ص24

"18" موسوعة الاعجاز العلمي ، مرجع سابق ، ص 25

"19" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ،ص 26

"20" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ،ص 27

21" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ،ص 28 -29

"22" موسوعة الاعجاز العلمي ، مرجع سابق ،ص 29

"23" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ،ص 9

"24" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ، ص 8

"25" يجب استثناء حالات الموت الظاهري و هي من حالات السبات العميق ، و تلك حالة لا تدخل في إطار الموت كتشخيص سريري "طبي شرعي " و إن كانت تلتبس مع تشخيص الموت عند غير ذوي الخبرة الطبية ، حيث حدثت عدة التباسات حولها في الأوساط الشعبية ، المطلوب توثيق علمي لكل ادعاء من قبل لجنة محكَّمة تحوي خبرات و عدم الركون إلى أقوال و آراء..الخ.

"26" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ،ص 10.

"27" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ،ص 399 .

"28" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ،ص 399

"29" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ،ص 11

"30" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ، ص 11 - ص 12

"31" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ،ص 23 .

"32" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ، ص 24

"33" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ، ص 24

34" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ،ص 25 .

"35" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ،ص 25

"36" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ،ص 43

"37" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ، راجع الصفحات 43 -44 -45 على سبيل المثال.

"38" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ، راجع ص 19

"39" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ، راجع ص 36

"40" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ، راجع ص 56"

"41" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ، ص 95 – ص 96

"42" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ،ص 97

"43" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ،ص 97

"44" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ،ص 98

"45" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ،ص 102

"46" موسوعة الاعجاز العلمي ،مرجع سابق ،ص 109

❖هوامش الفصل الرابع :

"1" من أسرار القرآن – زغلول نجار - جريدة الأهرام تاريخ 27 -2 -2006

"2" من أسرار القرآن –جريدة الاهرام – مرجع سابق.

"3" لسان العرب - ابن منظور - عن نسخة الكترونية متوفرة للبحث في موقع الوراق.

http://www.alwaraq.net/Core/AlwaraqSrv/LisanSrchOneUtf8

"4" ويكيبيديا - مادة كوكب (عدل) - آخر تعديل لهذه الصفحة في : 2 ديسمبر 2012

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D9%88%D9%83%D8%A8

"5" من أسرار القرآن –جريدة الاهرام – مرجع سابق.

❖هوامش الفصل الخامس

"1":التوراة و الإنجيل و القرآن و العلم ،موريس بوكاي،ترجمة الشيخ حسن خالد -،إصدارات المكتب الإسلامي ،ط 3 عام 1990 "2" التوراة و الانجيل و القرآن و العلم ، مرجع سابق ، الصفحات من 236 إلى 245

"3" التوراة و الانجيل و القرآن و العلم ، مرجع سابق ، ص 237

"4" على الغلاف الخارجي للطبعة العربية من الكتاب يرد اسم موريس بوكاي مقرونا ب: الكاتب الفرنسي.

"5" التوراة و الانجيل و القرآن و العلم ، مرجع سابق ، ص

237

"6" التوراة و الانجيل و القرآن و العلم ، مرجع سابق ،ص 238

"7" التوراة و الانجيل و القرآن و العلم ، مرجع سابق ، ص 239

"8" اعتمدت على النسخة الالكترونية للموسوعة الشاملة CD،الاصدار الثالث ، و التفاسير المستخدمة هي : الجلالين -ابن كثير – الزمخشري – الماوردي - البحر المحيط - البغوي – الألوسي - فتح القدير - النسفي - زاد المسير "9" اعتمدت على النسخة الالكترونية من لسان العرب ،ابن منظور المتوفى عام:711ه،الموسوعة الشاملة CD،الاصدار الثالث. "10" لسان العرب ، مرجع سابق ، مادة نَطَفَ

"11" التوراة و الانجيل و القرآن و العلم ، مرجع سابق ، ص240 .

"12" التوراة و الانجيل و القرآن و العلم ، مرجع سابق ،ص240

"13"نظرية الأخلاط الأربعة:هي نظرية أخذها العرب عن الإغريق شرحها الطبيب الشهير أبوقراط تحاول فهم

السلوك البشري عبر ربطه بالمكونات التي يتشكّل منها الجسم ، و تلك الأخلاط هي الدم و البلغم و المرارة الصفراء و المرارة السوداء.

"14" التوراة و الانجيل و القرآن و العلم ، مرجع سابق ، ص 241

"15 " التوراة و الانجيل و القرآن و العلم ، مرجع سابق ، ص 242

"16" التوراة و الانجيل و القرآن و العلم ، مرجع سابق ، ص 242,243 حيث ورد :"و هذه الحقيقة مذكورة في أربع آيات أخرى تستعرض تطورات متعاقبة تبدأ من مرحلة النطفة المنوية و تنتهي في أجل الولادة : "فأنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة "سورة 22 آية 5 ثم خلقنا النطفة علقة " سورة 23 آية 14 هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة"سورة 40 آية 67 ألم يك نطفة من مني يمنى ، ثم كان علقة فخلق فسوى"سورة 75 آية 37 - 38 ""

"17" لسان العرب ، مرجع سابق ، كلمة عَلَقَ

"18" عنوان المقال " وصف التخلق البشري طورا العلقة والمضغة "، موقع المعهد العالمي للإعجاز العلمي ، أثبت في مقدمة المقال ثلاثة أسماء" كيث. ل. مور - أستاذ علم

التشريح والأجنة - عميد كلية العلوم الطبية الأساسية في جامعة تورنتو ـ كندا ، الشيخ عبد المجيد الزنداني - رئيس جامعة الإيمان ـ صنعاء ، الأستاذ مصطفى أحمد "، على الرابط:

http://iiquran.com/view_article.php?newsnumber=6&title=%D9%88%D8%B5%D9%81%20%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AE%D9%84%D9%82%20%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B4%D8%B1%D9%8A%20%D8%B7%D9%88%D8%B1%D8%A7%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%82%D8%A9%20%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B6%D8%BA%D8%A9

"19" التوراة و الانجيل و القرآن و العلم ، مرجع سابق ، ص 242 .

"20" التوراة و الانجيل و القرآن و العلم ، مرجع سابق ، ص 243

"21 " التوراة و الانجيل و القرآن و العلم ، مرجع سابق ، ص 244

"22" الوجيز في علم الجنين، د.محمود إبراهيم،منشورات جامعة حلب ، راجع الصفحات 72 - 73 -74 و سأثبت نصاً من الكتاب يشرح صيرورة تطور المشيمة " أن الخلايا

تنتشر من مكان التعشيش لتشمل كل بطانة الرحم و تقسم هذه الطبقة الساقطية إلى ثلاث أقسام حسب مكان التعشيش : 1 - الساقطة القاعدية 2 - الساقطة البيضية 3 - الساقطة الجدارية

1 -الساقطة القاعدية caduque bassilai و هي الجزء الموجود تحت البيضة في مكان التعشيش و تشكل القسم الوالدي من المشيمة و الطبقة الكثيفة من بطانة الرحم في هذه المنطقة تسمى بالصحيفة الساقطية.

2 -الساقطة البيضية caduque ovulaireو تسمى أيضا بالساقطة المحفظية و هي الجزء المحصور و الموجود فوق البيضة من بطانة الرحم و المطلة على الجوف الرحمي.

3 - الساقطة الجدارية caduque parietale و تمثل ما تبقى من المخاطية الرحمية .

منذ نهاية الشهر الثاني تبدأ الزغابات الكوريونية في الساقطة البيضية بالتحلل و التراجع في هذه المنطقة مكونة بذلك الكوريون الأملس الذي يكون ناجما عن سبب وعائي كنقص التروية في هذه المنطقة. أما في منطقة الساقطة القاعدية فيزداد نمو و تطور الزغابات الكوريونية مكونة

الكوريون المزغب الذي يعطي الجزء الوالدي من المشيمة.و في نهاية الشهر الثالث و بداية الشهر الرابع الساقطة البيضية تتحدب و تملأ التجويف الرحمي و تصبح ملامسة للساقطة الجدارية و تتحد بها و بالتالي يزول التجويف الرحمي"

"23" الوجيز في علم الجنين ،مرجع سابق ، ص 58

"24" الوجيز في علم الجنين ،مرجع سابق ،ص 237

"25" الوجيز في علم الجنين ،مرجع سابق " ص 247

"26" عنوان المقال :" تخبط القرآن في خلق الإنسان "، موقع الحوار المتمدن – العدد : 2393 - 2008 / 9 / 3 ،كامل نجار ، على الرابط:

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=145980

"27" التوراة و الانجيل و القرآن و العلم ، مرجع سابق ،ص 244

"28" التوراة و الانجيل و القرآن و العلم ، مرجع سابق ،ص 244

"29 " التوراة و الانجيل و القرآن و العلم ، مرجع سابق ص 244

"30" مقالة بعنوان "الجنين ونشأة الإنسان بين العلم والقرآن "، د.شريف كف الغزال ، موقع الطب الاسلامي ، على

الرابط:

http://www.islamicmedicine.org/embryotext.htm

"31" مقال بعنوان:النطفة العلقة المضغة ، الدكتور زغلول نجار ، الموقع الشخصي للدكتور زغلول نجار تاريخ النشر 13 - 9 - 2006، على الرابط:

http://www.elnaggarzr.com/index.php?itm=797

"32" لسان العرب ، مرجع سابق ، مادة نطف.

"33 " النطفة العلقة المضغة ، الدكتور زغلول نجار ، مرجع سابق.

هوامش الفصل السادس:

"1" العلاج النفسي و العلاج بالقرآن " رؤية طبية نفسية شرعية " أ.د. طارق بن علي الحبيب ، إصدار اتحاد الأطباء النفسانيين العرب، الطبعة الثامنة 2007 م

"2" العلاج النفسي و العلاج بالقرآن ، مرجع سابق ، ص4

"3" العلاج النفسي و العلاج بالقرآن ، مرجع سابق ،ص 4

"4" العلاج النفسي و العلاج بالقرآن ، مرجع سابق، ص5

"5" العلاج النفسي و العلاج بالقرآن ، مرجع سابق، ص 182

"6" العلاج النفسي و العلاج بالقرآن ، مرجع سابق، ص 189

"7" العلاج النفسي و العلاج بالقرآن ، مرجع سابق، ص 207

"8" العلاج النفسي و العلاج بالقرآن ، مرجع سابق ، ص 65

"9" العلاج النفسي و العلاج بالقرآن ، مرجع سابق ،ص65

"10 " العلاج النفسي و العلاج بالقرآن ، مرجع سابق، ص60

"11" تفسير الجلالين ، جلال الدين المحلّى - وجلال الدين السيوطي ، اعتمدت على النسخة الالكترونية للموسوعة الشاملة CD، الاصدار الثالث.

"12" تفسير زاد المسير لابن الجوزي ، اعتمدت على النسخة الالكترونية للموسوعة الشاملة CD، الاصدار الثالث.

"13" العلاج النفسي و العلاج بالقرآن ، مرجع سابق، الصفحات 344 - 345 -346

❖هوامش الفصل السابع :

"1"الاعجاز العلمي للقرآن الكريم بين القبول و المعارضة، تاريخ 21 -6 -2010، أد كارم السيد

غنيم، موقع موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن و السنّة ، على الرابط: http://quran-m.com/container.php?fun=artview&id=64

4 "2" في النسخة الأولية "مسودة هذا الفصل " كانت مرجعية المنطق الحيوي و قياسات كعبة المصالح هي المستخدمة في مقاربة النص ، و هو ما سبق لي الاشتغال عليه في كتاب "أضاحي منطق الجوهر : تطبيق مقايسات المنطق الحيوي على عينات من الخطاب الاسلامي المعاصر " و لكن اختصارا لوقت القارئ و تسهيلا للتواصل معه و لكون عرض مقايسات المنطق الحيوي يحتاج لتمهيد نظري و عرض تفصيلي لأدوات و طريقة القياس ، و جدت أنه من المفيد العدول عن ذلك في هنا ، و الاكتفاء بتعقيب نقدي على شكل سرد –غير اختصاصي - يكتفي بطرح التساؤلات الثلاثة التي اوردتها حول المصالح المعروضة في كل فقرة ، دون الخوض و دون حاجة للإطلاع على "المنطق الحيوي ".

"3"مرجعيّة العقد العقائدي الفئوي :إنّ وجود مرجعيّات عقدية فئوية متعدّدة لا يخص البعد العقائدي للكينونة دون غيره، فهناك مثلاً مرجعيّات عقديّة (سياسية أو لغويّة أو مهنيّة ..) فئوية. و إنّ مشروعية وجود مرجعيات عقدية عقائديّة

فئوية تعود أنه للقانون الواحد ، تعبيرات و طرائق تشكّل متعدِّدة تتحوَّى البعد العقائدي للكينونة الاجتماعية.

يمكن تعريف المرجعيّة العقدية العقائدية الفئوية بأنّها تحقّق ما يلي:

أولاً -مرجعية تَخُصْ المصالح ذات التوظيف العقائدي الفئوي.

ثانياً -مرجعيّة "برهانيّة افتراضيّة شرطيّة " مُلزمة فقط لمن يواليها و يؤمن بها

ثالثاً - مرجعيّة مُتضمَّنَة في البرهان الحيوي ، لكون البرهان الحيوي يتضمّن ما هو مستحيل أو منافٍ أو منقوص البرهان كذلك . و المرجعية المقابلة للمرجعية العقدية الفئوية هي "مرجعية البداهة الحيوية الكونية للمصالح المشتركة "و هي مرجعية عملية تجريبية عامة ، بقرينة كون الجميع يمارسها بصرف النظر عن القدرة على تعريفها نظريا ،ملزمة لهم قانونيا بغض النظر عن معرفتهم أو قبولهم بها.

"4" صحيح البخاري : كتاب تفسير القرآن - سورة يس - باب و الشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز الحكيم

، حديث رقم 4524، موقع الاسلام الدعوي و الارشادي "
بإشراف وزارة الشؤون الاسلامية و الاوقاف في السعودية. "
على الرابط:
http://quran.maktoob.com/vb/redirectLink.php?link=http%3A%2F%2Fhadith.al-islam.com%2F
"5" يقول تعالى ذكره) : حتى إذا بلغ (ذو القرنين) مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة (، فاختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة)في عين حمئة بمعنى : أنها تغرب في عين ماء ذات حمأة ، وقرأته جماعة من قراء المدينة ، وعامة قراء الكوفة "في عين حامية " يعني أنها :تغرب في عين ماء حارة . واختلف أهل التأويل في تأويلهم ذلك على نحو اختلاف القراء في قراءته. " ، كتاب "جامع البيان في تفسير القرآن "المعروف بتفسير الطبري ، محمد ابن جرير الطبري ، اعتمدت على النسخة الالكترونية للموسوعة الشاملة CD ،الاصدار الثالث
"6" عالم إغريقي إراتوستينس "المتوفى 194 ق.م " عاش في الاسكندرية قام بدحض نظرية الارض المسطحة و قام بأول حساب لمحيط الارض اعتمادا على طول القوس بين نقطتين و

زاوية سقوط ضوء الشمس على هاتين النقطتين ، اعتمد في ذلك على تعامد الشمس على مدار السرطان ."عن ويكيبيديا"

& &

مراجع الكتاب

أوّلاً – الكتب :

-أبو حامد الغزالي ، احياء علوم الدين ، دار الشعب ، القاهرة 2005 م

-أبي إسحاق الشاطبي ،الموافقات في أصول الشريعة ،دار الفكر العربي .

-ابن الجوزي ،زاد المسير ، النسخة الالكترونية للموسوعة الشاملة CD ،الاصدار الثالث .

-ابن منظور ، لسان العرب،النسخة الالكترونية الموسوعة الشاملة CD ،الاصدار الثالث.

-أبو حيان الاندلسي ، تفسير البحر المحيط ، النسخة الالكترونية الموسوعة الشاملة CD ،الاصدار الثالث.

-الباقلاني ،إعجاز القرآن ، النسخة الالكترونية الموسوعة الشاملة CD ،الاصدار الثالث.

-السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، النسخة الالكترونية الموسوعة الشاملة CD ،الاصدار الثالث.

-الزمخشري ، تفسير الكشاف ، النسخة الالكترونية الموسوعة الشاملة CD ،الاصدار الثالث.

-البخاري ، صحيح البخاري ، نسخة متوفرة للبحث على موقع الاسلام الدعوي و الارشادي " بإشراف وزارة الشؤون الاسلامية و الاوقاف في السعودية. "

-أبو الحسن الماوردي ، النكت و العيون " تفسير الماوردي "، النسخة الالكترونية الموسوعة الشاملة CD ،الاصدار الثالث

-أبو محمد البغوي ،معالم التنزيل"تفسير البغوي "، النسخة الالكترونية الموسوعة الشاملة CD ،الاصدار الثالث.

-الشوكاني ،فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، النسخة الالكترونية الموسوعة الشاملة CD ،الاصدار الثالث.

-النسفي ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل"تفسير النسفي "،النسخة الالكترونية الموسوعة الشاملة CD ،الاصدار الثالث.

-

جلال الدين المحلّى+وجلال الدين السيوطي ؛تفسير

الجلالين، النسخة الالكترونية الموسوعة الشاملة CD، الاصدار الثالث.

-رائق النقري - فقه المصالح – القاهرة – دار الأمين ط1 1999م

-محمد إسماعيل إبراهيم ،القرآن وإعجازه العلمي ، النسخة الالكترونية الموسوعة الشاملة CD، الاصدار الثالث.

-محمد راتب النابلسي ، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن و السنة – آيات الله في الانسان ، دمشق 2004 م ، دار المكتبي ط1

-موريس بوكاي ،التوراة و الإنجيل و القرآن و العلم ، ،ترجمة الشيخ حسن خالد ،إصدارات المكتب الإسلامي ،ط 3 عام 1990

-محمود الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"تفسير الألوسي"، النسخة الالكترونية الموسوعة الشاملة CD، الاصدار الثالث.

-محمود إبراهيم ،الوجيز في علم الجنين ، ،منشورات جامعة حلب

ثانياً – الدوريات:

جريدة الأهرام ، تاريخ العدد : 27 -2 -2006

ثالثاً - المواقع الالكترونية:

موقع الإسلام ويب. www.islamweb.net، موقع الوراق www.alwaraq.net
موقع ويكيبيديا www.ar.wikipedia.org ، موقع المعهد العالمي للإعجاز العلمي www. iiquran.com ، موقع الحوار المتمدن www.ahewar.org،موقع الطب الاسلامي www.islamicmedicine.org، الموقع الشخصي للدكتور زغلول نجار www.elnaggarzr.com ،موقع موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن و السنّة quran-m.com
www.،موقع الاسلام الدعوي و الارشادي www. quran.maktoob.com
& &

الفهرس

الفصل الأول : عن اعجاز القرآن الكريم..... **ص**

الفصل الثاني : عن العلم و الدين ، و تصنيع الاعجازالعلمي.....**ص**

الفصل الثالث : قراءة نقدية في " موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن و السنة " لمحمد راتب النابلسي.....**ص**

الفصل الرابع : فبركات زغلول نجار ... و الأحد عشر كوكبا.....**ص**

الفصل الخامس : مع موريس بوكاي و خلق الإنسان و الإعجاز العلمي.....**ص**

الفصل السادس : قراءة نقدية في كتاب "العلاج النفسي و العلاج بالقرآن " لطارق الحبيب....

.....**ص**

الفصل السابع: حجج المعارضين للإعجاز العلمي ، و قول على قول كارم السيد غنيم

.....**ص**

الفصل الثامن : سياقات ظاهرة الإعجاز العلمي..... **ص**

هوامش الكتاب.....ص

مراجع الكتاب.....ص

المؤلف في سطور : حمزة رستناوي

كاتب و شاعر سوري من مواليد حماة – مورك 1974 م

اختصاصي في طب الأعصاب - دمشق – 2003 م

باحث من فريق مدرسة دمشق للمنطق الحيوي.

❖الاصدارات :

1 -طريق بلا أقدام – شعر – ط1 عن دار آرام – دمشق 2001 م و أعيد طباعتها – منشورات وزارة الثقافة – دمشق 2002-

2 -ملكوت النرجس - شعر - اتحاد الكتاب العرب – دمشق – 2003

3 -سيدة الرمال – شعر - دار بعل – دمشق 2006

4 - الشذرات – شعر - اتحاد الكتاب العرب – دمشق 2007 -

5 -مستقبل الشعر مستقبل الحلم "تأملات في ضرورة الشعر" كتاب مشترك -المركز المتوسطي للدراسات و الأبحاث - ط1 طنجة 2007

6 - أضاحي منطق الجوهر " دراسة في تطبيق مقاييسات المنطق الحيوي على عينات من الخطاب الإسلامي المعاصر" - دار الفرقد - دمشق - 2009

7 -قصيدة النثر العربية بين النظرية و التطبيق - كتاب مشترك صدر على هامش الملتقى العربي الأول لقصيدة النثر - القاهرة 10 -13 مارس 2010

8 -تهافت الاعجاز العددي في القرآن الكريم - دار أرواد – سوريا / طرطوس ط1 2014م

❖**عنوان الموقع الالكتروني الشخصي** : يحتوي ما يزيد عن مائتي مقال .

http://www.ahewar.org/m.asp?i=722

❖**معلومات التواصل**

Email: hrastanawi@gmail.com